ALQAMAH ALKHAWLANY'S DALIA &YATEMAH INVESTIGATION AND STUDY

Hafel ALYOUNES*

Abstract

This paper deals with one of the pre-Islamic poetry's vocabulary and Myateem(sole poems) which protected from loss and the vicissitudes of days, as opposed to the our old poetry that lost and disappeared.It was saved in the era of blogging, where it found in the sheetof Arabian Peninsula Character authored by Hassan bin Ahmed bin Yacoub Al-Hamdani (died about 344 H); a book speaksabout names of the places,sites, valleys and hills, that author was often uniquein their mentioning, and explaining their details.

The researchis dividedto two sections: The first talks about the scientifically definition, investigation and enlightenment of thissole poem, and clearing it from misspelling and interpolating, which contributed to the its distortion. The second section was devoted to the study itself that dealt with the idea of life in the praise topic, and then turnedto study of vocabulary construction of Dalia.The study was dealtwith trip lexicon,praise lexicon and salient stylistic structures, which the poet shred in them in order to reach his goal, like his peers poets.Then,the study spotted rhythmic construction - including its content of metrical scale, rhyme and Interior music - which has been associated closely with the semantic meanings of the poem.So, the poem seemed asunite seeks the goal of the continuation of life, which are threatened with opponents' swords. The study also pointed to the names of places and celebrities that the text filled by, and it sought hardly to stand up and referral tothem as much as possible, and concluded a number of results.

Keywords: Alkhawlan, Dalia, praise, Alqamah.

* Yrd. Doç. Dr., Namık Kemal Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belağatı ABD, (hafelalyounes@nevsehir.edu.tr)

دَالِيَّةُ عَلْقَمَةَ الخَولَانيّ ويتيمتُهُ تحقيق ودراسة

مُلَخَّص:

يَضْطَلِعُ هذا البحث بواحدة من مُفرَدات الشّعر الجاهليّومَيَاتيمهاالّتي سلمتْ من الضَّياعِ وغوائلِ الأيَّامِ فيما ضاعَ من شعرنا القديم واندثرَ، وكانت لها الحظوة في عصرِ التدوينِ بالثباتِ، والديمومةِ، والتقييد بصحيفة من صحائف صفة جزيرةالعرب لمؤلّفهِ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانيّ (ت حوالي 344 هـ)، الذي صنّفه في أسماء الأمكنة والمواضع والبقاع والجبالِ التي تفرّد في كثيرٍ من الأحيانِ بذكرها والوقوف عند تراميها وحدَهُ دون غيره .

مدارُ البحثِ ومرامهُ قسمان، كُسِرَ الأَوَّلُ منهما على التعريف بهذه اليتيمةوبصاحبهاوتحقيقها وإخراجها إلى النور إخْرَاجًا علميًّا، وتبديد الظُّلمةِ عن وجهها، ووضعها بينَ يدي القارئ معافاةً، مقذّاةً منَ التصحيفِ والتحريفِ اللّذين توشّحا بعض ألفاظها، فساءت مناجاتها ممّاأسهمَ في تشويهِ وجههَا، فانحرفَ التوجيهُ عن جادةِ الصوابِ وعَدَل إلى الخطأِ والوهمِ. وأما القسم الثاني فأُفْرِدَللدراسة التي تناولتفكرة الحياة في ناصية المدحة ثُمَّانعطفت لدراسة البناء المعجمي للدالية متناولة معجم الرحلة ومعجم المدح والبنى الأسلوبيّة البارزة فيها التي أجاد الشاعر فيها بغية الوصول إلى هدفه محتذيًا حذو أقرانه الشعراء، ثُمَّ رصدتْ البناء الإيقاعي -بما يحويه من الوزن العروضي والقافية والموسيقى الداخلية -الذي ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعاني الدلالية للقصيدة حتى بدت أوصالها جسداًواحداً تنشدُ هدفَ استمرارِ الحياةِ التي باتت مهددة بسيوف الخصوم، وكذا أشارتْ إلى أسماءِ الأماكنِ والأعلامِالتي غصَّ بها النصُّ،وسعيت سعاية المجدِّ إلى الوقوف عندها والإحالة عليها ما أسعفتني المظان والمصنّفات ، وخلصتُ إلى عددٍ من النتائج .

الكلمات المفتاحية: الخولاني،دالية، مدح، علقمة.

عَلْقَمَةُ الخَولَانيّ:

هوعَلْقَمَةُ بْنُزَيدِ [1]بْنِ بِشْرٍ أخو بني صُحَار بن خَولَان[2] بنِ عَمْروبن إلحاف بن قُضَاعَةَ[1]، جاهليٌّ قديمٌ ، من قدماء رجال بني خولان[2]، وأغلب الظَّن أنّ الشّاعر عاش في أواخر العصر

(1)الإكليل : (المخطوط 106/1 ، المطبوع 1/ 425)

(2) خولان: قبيلة يمانية قديمة أخبارها في الإكليل وكتاب الأيام المفقود – يسّر الله وجوده – وبعض النقوش اليمانية، وشرح قصيدة الدامغة. وخولان الأب الأكبر مختلف في رفع نسبه ومتنازع بين اللحاق بعمرو بن مالك بن الحارث بن مرَّة ابن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريبن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان، وبين اللحاق بعمرو بن إلحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان. انظر: نسب معدّ واليمن الكبير ج215/1، نسب عدنان وقحطان:64، جمهرة أنساب العرب:418. وانظر:

الجاهلي؛ لأنّ سيف بن ذي يزن ملك بعد عام الفيل (571م) وابن ذي فائش القيل ذكره الأعشى الذي كان في أواخر العصر الجاهلي؛ مما يعني أنّ ذلك كان في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي، وهو عصر الشاعر. وقد يلتبس اسم هذا الشاعر باسم آخر جاء عند الزَّبيديّ: «صَخَار بنُ عَلْقَمَةَ، شاعر من خولان» [3]، فقط بلا ذكرِ شيءٍ آخر يتعلق بانتمائه إلى بطنٍ معينٍ، أو جَدٍّ مشهورٍ ذاع صيتُهُ يَنْتَسِبُ إليه، وهذا ما جعله نَكِرَةً غيرَ معروفٍ.

لذا يمكن القول: إنَّ في هذا النسب المسوق وهماً واضحاً، فيمكن أن يكون هذا المذكورُ هو ابنٌ لعلقمةَ بنِ صُحَارٍ صاحب الدّالية، ولم نقع على ذكرٍ له عند غير الزَّبِيْدِيّ، أو يُحْتَملُ أن يكونَ شاعراً آخر لا علاقة له بعلقمةَ بنِ صُحَارٍ، أو ببني صُحَارٍ قاطبةً، وليس له شعرٌ، أو ذكرٌ فيما وقفتُ عليه من المصادر والمُؤَلَّفَاتِ، ولعلَّ الأقرب إلى اليقين - الذي تطمئن إليهِ النفس - أنَّ الزَّبِيْدِيّ قد وَهِمَ في رسم الاسم فجعل الأب ابناً والابن أباً، وصَحَّف صُحَاراً بإعجام الحاء. وهذا ما أميل إليه ؛ لأنّ مثله كثيرٌ في مصنَّفات العلماء القدامى.

مناسبة الدَّالية :

ممَّا جاءَ في مناسبةِ هذهِ اليتيمةِ أنَّ عَلْقَمَةَ الخَوْلَانيَّ كانَ رَحَّالَةً، يَجُوبُ الآفاقَ والقفارَ والأمواهَ إلى الملوكِ والأمراءِ باليمنِ والشّامِ، وهو الّذي أشارَ على رؤوسِ خولانَ باستنجادِ ابن ذي يزنِالملك الحميريّ على قبائل قيس عيلان (هَوَازِنَ وبني سُلَيْم)، القبيلتينِ اللّتينِ طمعتا في أرضِ لقضاعةَ اليمنِ، بما في ذلكَ مَذْحِج الّتي عزمت على محاربةِ القبيلتينِ المذكورتينِ، وفي هذا يقولُ الهمدانيُّ:(فلا تسمحُ جُهَيْنَةُ ولا بَهْرَاءُ بوطءِ بلدٍ لهم أكثرُه ولسُلَيْمٍ أَقَلُّه، كمالم تسمحَ [4]خَولَانُ ونَهْدُ وجَرْمُ– وهم مقابلونَ لزَبِيْد بالمَنْشَرِ[5] مقابلةَ الحربِ - بأن تطأَ هوازنَ وسُلَيْم ديارَ زبيدٍ، وقد أتت الجميع النذيرة ساعتئذٍ وهم على أشدِّ ما كانوا من القتالِ، فاختلطت خولان ونهد وجرم بمذحج في موقفهم ذلك، وسارَ الجميعُ في لقاءِ هوازن وبني سُلَيْم، ومنها وقعت الحربُ بين قضاعةَ اليمنِ وبين بطونِ قيسٍ) [6].

ديوان شعراء بني كلب بن وبرة – الدراسة ص12 وما بعدها للوقوف على أوجه الخلاف في نسب قضاعة، صفة جزيرة العرب :385 والإكليل ج164/1.

(1) صفة جزيرة العرب : 385

(2) الإكليل : (المخطوط 106/1 ، المطبوع 1/ 425)

(3) كذا ضُبِطَ في التَّاج (صَخَرَ).

(4) في المطبوع 250/1 (كما تسمح خولان ...) تحريفٌ قبيحٌ

(5) المَنْشَرُ: موضع في ناحية ثَأت من سَرو مَذْحِج التي تسمَّى اليوم بالبَيْضاء التي سكنها بنو عَنْس وقيل هو الموضع التي التقت فيه مذحجُ وقضاعةُ ونشروا فيه جموعهم للقتال ، انظر: صفة جزيرة العرب 188، 422، الإكليل 2/ 47 .

(6) الإكليل :(المخطوط 56/1 ، المطبوع249/1-250)والإكليل 2/ 130، صفة جزيرة العرب :385.

وقالَ علقمةُ قصيدتهُ يطلبُ فيها العونَ والمَدَدَ على هَوَازِنَ وبني سُلَيْم، فوصفَ البلادَ التي سلكها من بلدهِ إلى صعدةَ ثمَّ إلى صنعاءَ فيوسطِ بلد هَمْدَان، فأُمِدُّوا بخمسةِ أقيالٍ كانوا لسيف بن ذي يزنٍ، وهم: مُرُّ بنُ عامرٍ وابن ذي فائش والحُصَيْنُ بنُ حُرَيْز ومَيْمُون بن حَرِيز ونَوَالُ بن عتيك غلام ابن ذي يزن الملكُ الحميريُّالمشهور.

الدَّالِيّة: في صِفَةِ جَزِيْرَةِ العَرَبِ (385 –387)(*) (مِنَ الطَّويل)

1- سَـــــقَى طَلَـــــلاً بـــــالجَلْهَتَيْنِ رُعُـــــودُ وَغُـــرُّ سَـــوَارٍ سَـــيْلُهُنَّ مَجُـــوْدُ[1]

2- مَنَـــــازِلَ مِـــــنْ أَمِّ الحُصَـــــيْنِ عَهِدْتُهَـــــا تَقَـــادَمَ مِنْهَـــا العَهْـــدُ وَهْـــوَ جَدِيْـــدُ[2]

3- وَقِـــدْماً أَرَاهَـــا وَهْـــيَ جَامِعَـــةُ الـــهَوَى يَنُـوسُ بِهَـا عَصْـرُ الصِّـبَا وَيَـرُوْدُ(3)

4- تَقُـــولُ الّتـــي مِـــنْ بَيْتِهـــا شَحَصَـــتْ بنـــا رَكَائِـبُ أَمثَـالُ العَطَـائِفِ جُـوْدُ(4)

5- أَرَأْكَ طَوَيْـــتَ الكَشْـــحَ هَجْـــراً عَلَـــى الّتِـــي كَلِفْـتَ بِهَـا والقَلْـبُ مِنْـكَ عَمِيْـدُ(5)

6- فقُلْـــتُ لَهَـــا: إِنِّـــي أُؤَمِّـــلُ رِحْلَـــةً إلـى مَلِـكٍ مَحْـضٍ نَمَتْـهُ جُـدُوْدُ(6)

* القصيدة وحيدة في صفة جزيرة العرب، ولم أقع على واحد من أبياتها في مصنَّف قديم أو في ما وقفت عليه من المصادر، ولم يُشِر إليها أحد من علمائنا القدامى سوى الهمدانيُّ في مصنَّفاته التي بين أيدي الناس.

(1) الجَلهتين: موضعان بالحِمَى، حِمَى ضَرِيَّة - هكذا فَسَّره ياقوتُ الحمويُّ– معجم البلدان ج2 / 157.
غرّ: غُرَّة الشَّيء أوَّله وأكرمه.
سَوَار: جمع سارية، السّحب التي تسري ليلاً محمَّلةً بالأمطار.
مَجُودُ: اسم مفعول من جَوَدَ بمعنى: غزير، وهو المطر الذي لا مطر فوقه البتَّةَ.

(2) أُمّ الحصين: رمز للمرأة عند الشّاعر. تقادم: قَدُمَ وطَالَ عليه الأَمَدُ.

(3) جَامِعَةُ: جَمَعَ الشّـيءَ، لملمَهُ، وجمع ما تفرّق من أشياءَ عِدّةٍ، وهي المؤلِّفَةُ بين الأشياء المتماثلات والمتضادات.
يَنُوْسُ: ناسَ الشَّـيءُ يَنُوسُ: تَحَرَّك وَتَذَبْذَبَ مُتَدَلِّياً.
يَرُودُ: رَادَ يَرُودُ إذا جاء، وذهب، وطلب الشَّيءَ.

(4) شَحَصَتْ: وردت (شَخَصَتْ) تصحيف. وشَحَصَتْ: بَعُدَتْ؛ لأنّه يقال أَشْحَصْتُه وشَحَّصْتُه إذا أَبْعَدْتُهُ وقليته.
رَكَائِبُ: واحدتها (ركَاب) وهي الإبل التي يقصد بها السفر وتُحمل عليها المحامِلُ.
العَطَائِفُ: واحدتها (عَطِيْفَةٌ) وهي القوس ، وقد شبّه الشّاعر الإبل المنعطفَة رقابُها، المتمايلة يمنةً ويسرةً من شدَّة التّعب، وبُعد السّفر، ومشقَّته بالقِسـيّ التي تنحني بيد الفارس.

(5) طويتَ: أضمرتَ وأخفيتَ.
الكَشْحُ: مابين الخاصرة إلى الضِّلع الخلف، وهو دون لدن السّرة إلى المَتن. وطويتَ الكَشْحَ: عزمتَ على أمرٍ أخمدته وسترته.
كَلِفتَ: (الكَلَفُ) الحُبُّ والولع بالشّـيء مع شغل القلب، ورجلٌ مِكْلَافٌ: مُحِبٌّ للنّساءِ مُولعٌ بِهُنَّ.
العميد: سيّد القوم المعتَمَدُ عليه في النّوائب، أو المعمود إليه. وقلبٌ عميدٌ: هدَّهُ العشق وكَسَرَهُ، والعميْدُ: المشغوفُ عِشْقَاً. وقيل: الذي بلغ الحُبُّ به مبلغاً عظيماً.

(6) أؤمِّل: مصدره (الأمل) هو توقُّعُ حصول الشّـيء، وهو ترَقُّب الانتفاع بما تَقَدَّم له سَبَبٌ ما، والأملُ هو تَعَلُّقُ القَلْبِ بحصول محبوب مستقبلاً، وهو ظنٌّ يقتضي حصولَ ما فيه مسرَّة. محضٍ: (المحض) اللَّبنُ الخَالِصُ بِلَا رَغْوَةٍ، ولم يخالطه ماءٌحلواً كان أو حامضاً، ومنه رجلٌ محضٌ: خالص النَّسب لاتشوبه شائبة تحطُّ من قدره وذلك على التّشبيه.
نمته: رفعته إليها في النّسب، ويقول الشاعر: (نَمَانِي إلى العُلْيَاءِ كلُّ سَمَيْدَعٍ) إذ إنَّ كلَّ ارتفاعٍ انتماءٌ، والسَّمَيْدَعُ هو السَّيّدُ.

7- إِلَيْـــكَ ابْـــنَ ذِيْ التَّـــاجَيْنِ سُـــرْ نَـــا رَكائِبًـــا مُرَقَّعَـــةً كَـــأَنَّهُنَّ حُيُـــودُ(1)

8- إذا انْبَعَثَـــتْ غَـــادَرْنَ لِلسَّـــبْعِ شَـــنَّةً قِـــرَىً وقَـــرَاهُنَّ الـــبِلَادَ وَخِيْـــدُ(2)

9- إلـــى طَلِـــقٍ لَـــمْ يَعْقِـــدِ اللَّـــؤْمُ كَفَّـــهُ وَمَـا زَنْـدُه فـي المَكْرُمَـاتِ صَـلُوْدُ(3)

10- نَمَـــاهُ إلـــى العَلْيـــاءِ نَفْـــسٌ أَبِيَّـــةٌ وَبَـأْسٌ غَـدَاةَ البَـأْسِ مِنْـهُ، وَجُـوْدُ(4)

11- فَلَمَّـــا بَطَنَّـــا السَّـــهْلَ مِـــنْ تَحْـــتِ (بَهْتَـــرٍ) وَأَسْـفَرَ مِـنْ ضَـوْءِ الصَّـبَاحِ عَمُـودُ(5)

12- سَـــلَكْنا بِهِـــنَّ السَّـــهْلَ (سَـــهْلَ سُـــحَامَةٍ) لَهَـا ذَمَـلٌ مِـنْ تَحْتِنَـا وَسَـمِيْدُ(1)

---

(1) ذو التّاجين: لم أتبين حقيقة (ذي التاجين) فيما بين يديّ من المصادر، ولم يرد في سيرة سيف بن ذي يزن –وهو المقصود بالمدح- أيُّ لقب أو نعت له أو أنّ والده عُرف بذي التاجين. انظر: شعراء حمير (الدراسة). والذي وقفت عليه – وأراه بعيداً ههنا- أنّ اثنان من أجداده عرفا بتاجيهما هما: مَالِك بن زَيْد بن سَدَد بن زُرْعَةَ وهو حِمْير الأصغر بن سَبَأ الأصغر بنكَعْب، يقول الشّاعر:

أصـــبتَ مليـــكَ النَّـــاسِ ذا التّـــاجِ مَالِكـــاً سَـــلِيْلَ بَنِـــي ذُهْـــلٍ وحـــيّ جُـــذَام

الإكليل ج 46/2 والثاني هو قَطَنُ بن عَرِيْبِ بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع، يقول علقمةُ بْنُ ذي جَدَن:

وأَبِيْنَا عَبْدُ شَمْسٍوابنُهُ زَرْعَةُ القَيْل وذِي التّاجِ قَطَنُ.

الإكليل 2/ 65.فقد نُعِتَ مالك بن زيد بن سَدَد وقطن بن عريب بن زهير بأنّهما من أصحاب التِّيجان . ولو أراد في البيت السالف اثنين لقال (ذَوَي التاجين). سُرْنا: عَلَونا

مُرَقَّعَةً: وردت (موَقّعَةً) تصحيفٌ والصواب أنّه أراد السير المرفوع الذي لا يدرك وصفه وتشبيهه، وغيره السير الموضوع الذي يدرك تشبيهه ووصفه ومنه قول الشّاعر:

مَرْفُوعُها زَوْلٌ، ومَوضُوعُها كَمَرّ صَوْبٍ لَجِبٍ وَسْطَ رِيحْ

فالموضوع كمرّ الريح المصوّتة ويروى كمرّ غيث. اللّسان (رفع).

حُيود: وردت (جنود) تصحيفٌ. وقد جاء عند ابن منظور (الحَيْدُ: ما شخص من نواحي الشيء .... وكلّ نتوء في القرن والجبل وغيرهما حَيْدٌ، والجمع حُيُود... والحَيْدُ ما شَخُصَ من الجبل واعْوجّ... وجبلٌ ذو حُيُود إذا كانت له حروفٌ ناتئة في أعراضه) وكثيراً ما وصفت العرب الإبل بالحيود على التشبيه. اللّسان (حيد).

(2) كذا جاء البيت، ولم يتّضح لي مراده؛ إلاّ أن يكون فيه تصحيف وصوابُه: "شَنّةً" بالشِّين، وهو الخَلَقُ البالي من كلّ آنيةٍصُنِعَت من جِلْد، وأراد به السَّلى، وهو غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه؛ إذ مِن عادة الشّعراء أن يذكروا أنّ الإبلَ ترمِيحَمْلَها في رحلتها ؛ لطول المسافة ولشدّة التّعب؛ ويكون معنى البيت أنّ هذه الإبل تَقْري السَّبُعَ بما ترميه من السّلى، ويكون قِراهاهي أن تقطع البلاد بوخيدها؛ أي سيرها .

قِرَىً: قَرَى الضّيْفَ قِرىً وقِراءً: أضافه وأحسن إليه، وقام بما يجب القيام به من إكرامه وتقديم وسائل الرّاحة له.

قَرَاهُنَّ: (قَرَا) الأمرَ واقتراه: تَتَبَّعَهُ. وقَرَوْتُ البِلَادَ قَرْواً وقَرْيْتُها قَرْيًا... إذا تتبعتُهَا أخرج من أرض إلى أرض أخرى .

وَخِيْدُ: ضَرْبٌ من سَيْر الإبلِ، وهو سَعَةُ الخَطْوِ في المشي.

(3) الطَلِقُ: هو السَّمْحُ وذو السَّخَاءِ والكَرَمِ، ورَجلٌ طَلِقُ اليدين والوجه وطَلِيقُهُما: سَمْحُهُمَا. الزَّندُ والزَّندةُ: خَشَبَتَانِ يُسْتَقْدَحُ بهما فالسّفلى زَنْدَةٌ، والأعلى زَنْدٌ، ويكون هذا التعبير في الكرم. والمراد هنا يده كريمةٌ سخِيَّةٌ تجود بما تملكه.

الصَلُودُ: الصُّلْبُ الأَمْلَسُ. ورجل صَلْدٌ وصَلُودٌ بخيلٌ جداً. ويقال للبخيل: صلدت زنَادَهُ ومنه قول الشّاعر:

صَـــلَدَتْ زِنَـــادُكَ يـــا يزيـــدُ وطالمـــا ثقبـــت زِنـــادُكَ لِلضَـــرِيْكِ المُرْمَـــلِ

اللّسان(صَلَدَ)

(4) أبيّة: ممتنعة كارهة.

(5) بطنّا: بَطَنَ بالشيء: دخل فيه وصار في وَسَطِهِ.

بَهْتَر: مكان لم أقف عليه فيما فتشت فيه من كتب البلدان ومعاجمها ولَعَلَّه اسمُ مَوْضعٍ.

أَسْفَرَ: أَضَاءَ، والسَّفرُ: الفجرُ، يقول الأخطل في ديوانه 507/2:

إنـــي أبيـــتُ وهـــمُّ المَرْءِيعمِـــدُهُ مـــن أَوَّلِ اللَّيْـــلِ حَتَّـــى يَبْـــرحَ السَّـــفرُ

يريد تَبَلُّجَ الصُّبْحِ وأرادَ بـ(يعمده): يثخنه ويؤذيه.

عمود الصُّبْحِ: ما ظَهَرَ مِنْهُ وما تَبَلَّجَ، وهو المستظهر منه. وأسْفَر.... عمود على التشبيه. اللّسان (سَفَرَ).

13- تَرَامَـــى بِنَـــا مِثْـــلَ السَّـــعَالِي فَجَـــافِجٌ ... وذُو خَفْقَـــةٍ فَـــوْقَ القُتُـــودِ يَمِيْـــدُ(2)

14- طَـــوَيْنَ جَمِيْـــلَ الخَـــافِقَيْنِ بِسُـــحْرَةٍ ... وَمَرَّتْ بِـ(مَاءِ الحَبْطِ)، وَهْيَ تَهُوْدُ(3)

15- وَقَـــدْ وَدَّعَـــتْ (هَضْـــبَي ثَقِيْـــفٍ) مَـــعَ العَمَـــى ... بِأَوْسَـــطِ لَيْـــلٍ، وَالْعِبَـــادُ هُجُـــوْدُ(4)

16- تَعَـــدَّتْ علـــى (مَـــاءِ العُمَـــيْشِ) وقَـــدْ بَـــدَا ... مِـــنَ الطَّـــلِّ مَيَّـــاحُ الجَنَـــاحِ رَكُـــوْدُ(5)

17- إلـــى مَلِـــكٍ يُعْطِـــي البَرِيَّـــةَ مالَـــهُ ... وقَـــالَ لهُـــمْ: عُـــوْدُوا فَسَـــوفَ أَعُـــوْدُ(6)

18- فَلَمَّـــا تَعَـــدَّى الرَّكْـــبُ سَـــارَتْ نَـــوَاعِجٌ ... سَـــوَاءٌ عَلَيْهِـــا سَبْسَـــبٌ وَنُجُـــوْدُ(7)

19- إِذَا مَسَحَتْ أَخْفَافُهَا الأَرْضَ في الخُطَا ... ظَنَنْـــتَ أَكُفًّـــا تَحْـــتَهُنَّ خُـــدُوْدُ

20- تَعَـــالى إلـــى بَـــابِ اِمْـــرِئٍ ذِي مُرَكَّـــبٍ ... تَكامَـــلَ فِيْـــهِ العَقْـــلُ وَهْـــوَ وَلِيْـــدُ(8)

---

(1) سلكنا: دخلنا، يقول عز وجل: ((**كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**)) [الشّعراء: 200]. أي أدخل الشرك في قلوب المجرمين.

سُحَامَةِ: موضعٌ سَهْلٌ من سَوَادِ بَاهِلَة في اليَمَنِ، سُمِّي بِسَحَامَةَ نِسْبةً إلى مَاءٍ فيه. انظر: صفة جزير العرب 293.

ذمل: والذَّمِيْلُ: ضرب من سير الإبل. وقيل: هو السَّيْر اللّيّن السَّريع، وقيل هو فوق العَنَقِ.اللّسان(ذمل).

سَمِيْدُ: فعله (سَمَدَ) وهو سَيْرُ الإبلِ الدّائمُ، وسَمَدَتْ الإبلُ في سَيْرها: جَدَّت ولم تعرفِ الإعياءَ. اللّسان(سمد).

(2) ترامى: حذف التاء تخفيفاً وهو أسلوب شائع في الشّعر العربيّ القديم. والأصل فيها (تترامى): تتقاذفنا وتُكْرِهُنا.

السَّعَالي: واحدتها (سِعْلَاة) وهي أنثى الغول، أو الجنّ، وكثيراً ما ذكرها الشّعراء القدامى في أشعارهم. اللّسان(سعل).

فجافِج: واحدها فَجٌّ وهي طريقٌ وَاسِعَةٌ بين جَبَلَيْنِ، أوسع من الشِّعَبِ، والمراد هنا البيداء والفيافي وصَرَفها للضَرُوْرَةِ وإقامة الوزن. اللّسان والتّاج (فجج).

خَفْقَة: (الخفق) اضطراب الشَّيءِ وعدم ثباته، ويسمَّى به الفؤادُ والسّيفُ والرّايةُ والرّيح.

القُتُودُ: خَشَبُ الرَّحْلِ وما إليه. يَمِيْدُ: من ماد إذا تحرّك وزَاغَ واضطرَبَ.

(3) الخافقين: ظاهر الشعر أنّه أراد به موضعاً، ولكن لم أتبينه فيما وقفت عليه من معاجم البلدان، غير أنّ ياقوتاً الحَمَوي قال:(الخافقان موضعٌ معروف) دون أن يفصّل فيه. معجم البلدان 338/2. وربما أراد به المغرب والمشرق؛ أي أنّهم قطعوا مسافاتٍ طويلةً للوصول إلى الملك الممدوح، فاستخدم ذلك بقصد المبالغة.

سُحْرَة: هو وَقْتٌ آخر اللّيلِ قُبَيْلَ تَبَلُّجِ الصُّبْحِ.

الحَبْط: اسم موضع يقع أسفل وادي مَذَاب من الوادي الثالث الذي يفضي إلى الجوف، فيه جَبَلا اللَّوذ وأوبن المشهوران في اليمن . صفة جزيرة العرب 152 –161. تهود: تبطِئ في السَّير وتترفّق ، وهو نوع منه.

(4) وَدَّعَتْ: التاء عائدة على الركائب.

هضبي ثقيف: لم أهتدِ إلى موضعها فيما وقَفْتُ عليه من معاجم البلدان ومصنَّفاتها.

العمى: كناية عن اللّيل وحلكتهِ. هجود: نيام: ويأتي الفعل (هجد) بمعنى : سهر، وهو من الأضداد، وأراد الشاعر المعنى الأول، إذ رمى إلى راحة الناس، وتعبه وقومه في أثناء سيرهم. اللّسان (هجد).

(5)العُمَيْشُ: لم أقع عليه بحرفيته ولعلّه العُمَيْشَةُ ،وقد أسقط الشاعر التاء ضرورةً ، وهو موضع مشهور فيه ماء لا ينزح، قفرٌ مَخُوفٌ لا أهل فيه، ويُضْرَبُ بالمثل في المخافة، فيقال للمذعور الخائف لتطمينه: لسنا في العُمَيْشَةِ، وفيها عينٌ صغيرةٌ على طريق صَعْدَة إلى صنعاء. انظر:صفةجزيرة العرب 161، 413.

الطَّلّ: وردت (الظَّلّ) وكأنّه تصحيفٌ صوابه (الطَّلّ) وهو المطر الصِّغار القطر الدائم، وقيل: هو أخفّ المطر وأضعفه، وقيل: هو النَّدى، وقيل: هو فوق النَّدى ودون المطر وجمعه طِلال. اللّسان (طلل). مِيَّاح: ضرب حسن من المشي في رهْوَجة حسنة، وهو مشيٌ كمشي البطّة.

رَكود: هدوء وسكون وكلّ ثابت في مكان فهو راكد. التّاج (ركد).

(6) ملك: هو سيفُ بنُ ذي يزنٍ الملكُ الحميريُّ. الإكليل: ج 2 /237 -238.

(7) تعدّى: تَحَضَّرَ وتَجَهَّزَ.النّواعج: الإبلُ البيضُالكريمةُ السّرّاعُ في عَدْوِها وسَيْرِها، وصَرَفَهُ للضرورة.

السَّبْسَبُ: المفازةُ غليظةً كانت أم غير غليظةٍ. نجود: جمع نَجْدٍ: وهو من الأرض ما غَلُظَ منها وأَشْرَفَ وارتفَعَ واسْتَوَى.

(8) تعالى: أصلها (تتعالى) حُذِفَتِ التاء الأولى تخفيفاً، وهي كثيرة في كلام العرب وأشعارهم.

21- أَقَـــبُّ طَوِيْـــلُ البَـــاعِ مِـــنْ بَيْـــتِ أَسْـــلَمٍ صَـبُوْرٌ عَلَـى رَزْءِ الزَّمَـانِ جَلِيْـدُ(1)

22- تَرَامَـــــتْ (بِبُوْبَـــــانٍ) بِـــــأَوَّلِ لَيْلِهَـــــا ومَـــاءِ (أَثَـــافٍ) والعُرَيْـبُ رُقُـوْدُ(2)

23- فَصَـــــبَّحْنَ (ذَا قَـــــيْنٍ) وكَبَّـــــرَ وَفْـــــدُنَا وَقَـــدْ قَابَلَتْنَـــا أَنْجُـــمٌ وسُـــعُوْدُ(3)

24- تَـــؤُمُّ فتَـــىً مِـــنْ خَيْـــرِ مَـــنْ حَمَلَـــتْ بِـــهِ كَـــرَائِمُ ذُهْـــلٍ والـــمَجِيْدُ مَجِيْـــدُ(4)

25- تَكَامَـــلَ فِيْـــهِ مَنْصِـــبٌ لَـــمْ يُلَـــتْ بِـــهِ ومُلْـــكٌ نَمَـــاهُ طَـــارِفٌ وتَلِيْـــدُ(5)

26- ومَـــــدَّ إِلَيْـــــهِ يَـــــوْمَ غَيْمَـــــانَ إِذْ دَعَـــــا مِـــنَ ابْنَـــاءِ عَمْـــرٍو أَشْـــبُلٌ وأُسُـــوْدُ(6)

مُركَّب: جاء لدى ابن منظور: "(المُرَكَّبُ): الأَصْلُ والمَنْبِتُ؛ تقول فلان كريم المُرَكَّبِ أي كريمُ أصلِ مَنْصِبِهِ في قومه". اللّسان: ركب.

(1) أقبُّ: سيّدٌ ومَلِكٌ.الباع: كناية عن السَّعةُ في المكارم.

أسلَم: هو أَسْلَم بن الحارث بن مالك بن زَيْد بن سَدَد بن زُرْعَة، وهو حِمْير الأَصْغَر أحد أَجْدَادِ سَيْف بن ذِي يَزَن. الإكليل ج 2 / 237 – 238 – وانظر: شعراء حمير (الدراسة) 93.رزء: نائبة ومصيبة. جَلِيد: قويٌّ صَلْبٌ .

(2) بُوْبان: - بِضَمّ الباءِ وسكون الواوِ وآخرهُ نونٌ- بلدةٌ من أَرْضِ سُفْيَان المشهورة بِجَبَلِها حَيْثُ تَسْكُن وَادِعَة.... منهَمْدَان القبيلة التي تقطن ما بين الغَائِط وتِهَامة من نجد والسَّراة في شمالي صنعاء ما بينها وبين صَعْدَة من بلد خَوْلَان ابنعمرو بن إلحاف بن قضاعة، وصرفه للضرورة. انظر: صفة جزيرة العرب 159، 239- 246.

أَثَافٍ: اسمُ موضع ولَعَلَّها (أَثَافِت) وتسمّى أثافة، وفيها لغةٌ ثالثةٌ هي ثافت بإسقاط الهمزة: اسمٌ لقريةٍ باليمن ذَاتِ كروم كثيرةٍ، وكانت تُسَمَّى في الجاهليّة (دُرْنى) وإيّاها عنى الأعشى بقوله:

أقَـــولُ للشَّـــرْبِ فـــي دُرْنَـــى وقَـــد ثَمِلُـــوا شِـــيموا وكيـــف يشِـــيمُ الشَّـــاربُ الثَّمِـــلُ ؟

وكان الأعشى كثيراً ما يتَخرَّفُ فيها، وكان له بها مِعْصَرٌ لِلخَمْر، يعصرُ فيه ما جَزَلَ له أهل أَثَافِتْ من أعنابهم يقول:

أجِـــــــــبُّ أثَافِتَوقَتَالِقطَـــــــــــــافِ ووقـــــــتَ عُصَـــــــارَةِ أَعْنَابِهَـــــــا

وكان يسكنها آل ذِي كُبَار، وَوَادِعَة من حَاشِد من هَمْدَان. وبين أثافت وصنعاء يومانَ. جمهرة اللّغة: 109/3، صفة جزيرة العرب: 97، معجم البلدان: 89/1. التّاج (ثفت).

العُرَيب: تَصْغِير العَرَبِ، أو تَصْغِيْر عَرِيْب، من قولهم: ما بالدار عَرِيْب أي ما بها أَحَدٌ، وعلّق ابنُ دريدٍ بقوله: (إنّ هذه الأسماء المُسْتَشْنَعَة مشتقة من أحرف قد أُمِيْتَتْ)واندثرت منذ زمن بعيد. ونصّ الهمدانيّ على اعتياص مثل هذه الأسماء على بعض عَصْرِيّيهِ من أهلِ اليمن. الاشتقاق: 552، الإكليل: (المخطوط 5/1، المطبوع 89/ا).

(3) قينٍ: مَوْضعٌ لحَاشِد وخَوْلَان من سَرْوِ بَكِيْل التي تَقَعُ في القسم الغربي من وَطن هَمْدَان. انظر: صفة جزيرة العرب: 246.

سُعُودْ: نجوم وهي الكواكب التي يقال لكل واحدٍ منها (سَعْدُ كذا) وهي عَشَرَةُ أَنْجُمٍ.اللسان (سَعَدَ).

(4) فتىً: هو سيفُ بن ذي يزن الملك الحميريّ المذكور آنفاً.

ذُهْلٌ: هو اسمُ ذِي يَزَن الأكبر بلغةِ خَوْلَان، واسمه عَامِر بلغةِ حِمْيَر. صفة جزيرة العرب 386مجيد: شريف كريم.

(5) تكامل: نَمَا وكَبُرَ. يُلَتْ: من الفعل (لَيَتَ) بمعنى نقص، ومنه في قوله تعالى: ((وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا))[الحجرات: 14]. قال الفَرَّاء معناه: لا ينقصكم ولا يظلمكم من أعمالكم شيئاً، وأراد الشاعر: لم يتناقص به ذلك المنصب،ولم يضعف، بل صار كاملاً بالممدوح. اللّسان (ليت).

طارف: ما استُحْدِثَ من المال واسْتُطْرِفَ. تَلِيْد: مَا وُرِثَ عن الآباءِ قديماً.

(6) يوم غَيْمان: ذَكَرَ الهَمْدَانِيُّ في كتبهِ التي انتهت إلينا، كالإكليل، وصفة جزيرة العرب، وغيرهما لُمَعاً من أخبار حمير وأيامها،غير أنّه كان يُوجز ذلك معوّلاً على كتابٍ له أفرده في الأيّام، مكتفياً بالحِوَالة عَلَيْهِ، وهذا الكتاب لا يزال في جملة كتبهالمفقودة، على وقوفِ محمّد بن نشوان الحميريّ - راوي الإكليل ومُخْتَصِرِهِ - عليه، وذكرهِ إيّاه في مقدّمة الإكليل، إذ قالوهو يتكلم على مكانة الإكليل بين كتب الرّجل: «فتصنيفه فيه وفي سائر مصنَّفاته: كتابُ الأيامِ ونحوه يدلُّ على غَزِيْر علمٍ،وقوّةِ فَهْمٍ، ومعرفة باهرة بأخبار الأمم، وشدَّة مَحضٍ على أخبار الأمم ومعرفة باهرة بأخبار العرب والعجم». الإكليل (المخطوط1/1،المطبوع81/1). ويوم غَيْمَان كان بين سيف بن ذي يزن والأَشْبَاءِ والصَّدَفِ وحَضْرَمَوت، وقد عَرَضَ الهمدانيُّ لخبرِ هذا اليوم بالتصريح تارةً وبالإشارة تارةً أخرى، وفي مواضعَ كثيرةٍ من كتابه الإكليل؛ فأمّا تصريحه فقوله، وهو يذكر أولاد زرعة بن عمرو الخنفريّ الحميريّ: «فأولد زرعة بن عمرو: يَرِيْم بن زرعة، وهو قتيل العرين، وحُجْر بن زُرعة فقام برياسة أبيه زُرعة، وولي ما كان في يده،

27- وَمَالَـــتْ إلـــى رُكْنَـــي (عَجِيْـــبٍ) رِكَابُنَـــا يُقَلِّبُهَـــا خَفْـــضٌ لَـــهُ وَصُـــعُوْدُ(1)

28- يُـــؤَمِّلْنَ نَصْـــراً مِنـــكَ يـــاخَيرَ سَـــيِّدٍ وأنْـــتَ وَصُـــوْلٌ لِلْقَرِيـــبِ وَدُوْدُ

29- وحَـــامٍ لِسَـــرْحِ الجَـــارِ عَـــنْ بُعـــدِ دَارِهِ لِخَوْفِـكَ عَنْهَـا حيْـثُ كَـانَ حُيُـوْدُ(2)

30- تَحَـــامَيْنَ أَحْمَـــى مِـــنْ عُـــدَاةٍ أقَرَّهَـــا فَـــوَارِسُ قَـــيْسٍ والْـــمُقِرُّ يَـــذُوْدُ(3)

31- فَلَمَّـــا اسْـــتَوَيْنَا رَأسَ طَـــوْدٍ مُنَفْنَـــفٍ هَبَطْنَـا وبَطْـنُ القَـاعِ مِنْـهُ بَعِيْـدُ(4)

32- إلـــى (الغَوْلَـــةِ) الْفَيحَـــاءِ تَهْـــوِي بِفِتْيَـــةٍ أَضَـرَّ بِهِـمْ مِنَّـا سُـرَىً وسَـهُوْدُ(5)

33- وقَـــدْ فَارَقَـــتْ دَارِي (جُمَـــاعَ) وأَهْلَهَـــا إِلَيْـــكَ وفِيْهَـــا ثَـــرْوَةٌ وَعَدِيْـــدُ(1)

ووازَرَ أبا مُرَّة سيف بن ذي يزن في أمره، وقام معه يوم غَيْمَانَ، يوم سار لـه مالك بن يزيد الصَّدفيّ في الأشباه والصَّدَف وحضرموت، وهو القائل:

لنـــا فَخْـــرُ غَيْمَـــان فـــي مَشْـــهَدٍ بَـــدَا الفَخْـــرُ فيـــهِ لِمَـــنْ يَفْتَخِـــرْ»

الإكليل2/128-129. وقد فخر محمّد بن أبان بمناصرة جدّه حُجْر بن زرعة لسيف في هذا اليوم فقال:

ونَحْـــنُ نَصَـــبْنَا يَـــومَ غَيْمَـــانَ عَارِضـــاً فَبَـــادَ ابـــنُ ذي شِـــمْرٍ وقـــد كَـــادَ يَغْلِـــبُ

أمّا تلميحه إلى هذا اليوم فقوله، وهو يتحدَّثُ عن عَمْرو بنِ يَزِيْد العوفيّ: «وخولان تقول: لم يُقْتَلْ أَحَدٌ من العرب مثلَ مَنْ قُتِلَ من السَّادة والعظماء، شهد مع ابن ذي يزن حرب الأَشْبَاءِ والصَّدَف وحَضْـرَمَوت، فَعَقَلَ نَفْسَـهُ زويراً، ورمى مالك بن يزيد الصَّدَفيّ الملك فقتله وفيه يقول شاعر الصَّدف:

ألا شَـــلَّت يَمِيْنُـــكَ يـــا بـــن زَيْـــدٍ فقـــد أوريـــت زَنْـــدَكَ فاســـتَنارا

انظر: الإكليل (المخطوط 128/1، المطبوع371/1)، وفيه «رمى مالك بن زيد الصَّدَفيّ» وهو وهم، الإكليل46/2، 128، وانظر: قوله بابن زيد: يريد: يا بن يزيد وغيَّر للضّرورة وإقامة الوزن. والزُّوبر: زعيم القوم، وأصله شيء يلقى في الحرب، فيقول الجيش: لا نفرّ ولا نبرح حتى يفرَّ ويبرح هذا. مجمع الأمثال: 475/3(صادر).

ابناء: وَصَلَ هَمْزَةَ القَطْعِ للضّرورةِ الشِّعْرِيَّةِ وإقامة الوزن . انظر: ما يحتمل الشّعر من الضّرورة: 157

عَمْرو: هو عمرو الخنفريّ الحميريّ الذي كَانَ مِنْ نَسْلِهِ مَنْ وَازَرَ أبا مرّة سيفَ بنَ ذي يزنٍ في أَمْرِهِ، وقام معه في يوم غَيْمَانَ يَوم سَارَ لـه مالك بن يزيد الصَّدفيّ في الأَشْبَاءِ والصَّدف وحَضْـرَمَوت.انظر: الإكليل المخطوط 88/1، المطبوع1/ 371 – ج2 / 128 -129 – 139 – 283. وانظر: شعراء حمير ق / 8 – ق / 103.

أَشْبُل: واحدها (شِبْلٌ) وهو ابن الأسد، وأرادها على تشبيه هؤلاء بالأشبال.

(1) رُكْنَي: مثنى رُكْنٌ وهو: جَانِبُ الشَّـيءِ، ومنه ركنُ الجَبلِ والقَصْـرِ جَانِبُهُ.

عَجِيْب: - بالعَيْنِ المفتوحة وكسْر الجيم -: مَسِيْلٌ رفيعٌ وصغيرٌ إلى وادي الخَادِر، الذي تسيل فيه مياه في أوقات محدّدة، يحاصره جبلا اللّوذ وأَوْبُن الشّامخان إلى هذه الغاية. انظر: صفة جزيرة العرب: 152 - 157.

يُقَلِّبُهَا: يتقاذفها. خَفْضٌ: سَهْلٌ من الأرض، يكون المشيُ فيه سَهْلاً.صعود: أَكَمَةٌ يكونُ السَّيْرُ فيها صَعْبَاً.

(2) السَّـرْحُ: المَالُ السَّائِمُ في المَرَاعِي من الأنعام، والسَّـرحةُ والسَّـرْحُ دَوْحـةٌ محـلالٌ واسعة يَحلُّ تحتها النّاس في الصّيفوالسّرحة كناية عن المرأة في شعر (حُمَيد بن ثور الهلالي) في قوله:

أبـــــى اللهُ إلّا أنَّ سَـــــرْحَةَ مَالِـــــكٍ علـــى كـــلِّ أفنـــانِ العِضَـــاهِ تَـــرُوقُ

ديوان حميد بن ثور الهلالي: 178. ومنه في تطوّر الغزل بين الجاهلية والإسلام: 24 – ط6.

حُيودُ: جمع (حَيْدٍ) وهو كلّ نُتُوءٍ في الجَبَلِ.

(3) أحمى: أكثرُ حَمِيَّةً وغيظاً وأَنفةً وغضباً.فوارس قيس: نـالوا حظَّ الشّـهرة بالفروسية بين قبائل العرب وبطونها، منهمعنترة، وخفاف بن ندبة وعبّاس بن مرداس ودريد بن الصمّة. انظـر: فحولـة الشـعراء للأصـمعي: 48 وفيـه عددهم. المُقِرُّ: وردت (المفر) تصحيفٌ قبيحٌ وصوابه ما أثبته .

(4) طَوْدٌ: جبلٌ عظيمٌ مرتفعٌ عالٍ. مُنَفْنَفٌ: الأَصْلُ منها (نَفْنَفُ) وهوكلّ مَهْوَى بَيْنَ جَبَلَيْنقالها الأصمعي، وأرادالشاعر: بعيدٌ وذو ارتفَاعٍ وعُلُو. اللّسان (نفنف).

(5) الغَولة: - بفتح الغَيْنِ المُعْجَمَة وسكون الواو - هي الشِّعَابُ والمُنْخَفَضَاتُ من سلْسَلَة الربوات بالقرب من وادي الخَادِر الكبير الذي يُحَاصِره جَبَلا اللّوذ وأوبن الشَّامِخَانِفي الجوف اليمني. انظر: صفة جزيرة العرب: 156.

الفيحاء:الواسعة.السُرَى: السَّيْر ليلاً. سُهُودٌ: جَمْعُ سُـهْدٍ وسُـهَادٍ. وهو الأَرَق وقلّـة النـوم ، وقيـل : الوجـع وقلـة النوم .

34- ودَارٍ أَطَـــافَ الكَـــرْمُ والـــزَّرْعُ حَوْلَهَـــا ... ومَـــا بَينَهـــا أَطْـــمٌ يَنِيْـــفُ مَشِـــيْدُ(2)

35- ومَالَـــتْ إلَـــى أَجْـــزَاعِ (حَيْفَـــةَ) ضُـــمَّرَاً ... شَـــوَازِبَ فـــي تَسْـــيَارِهِنَّ وَئِيْـــدُ(3)

36- فَلَمَّـــا رَأَيْنَـــا مِـــنْ (أَزَالَ) قُصُـــورَهَا ... تَبَـــادَرَ مِنَّـــا مُخبِـــرٌ وبَرِيْـــدُ(4)

37- ولَـــمْ نَـــرَ إلّا مُـــرْدِفَ الأَرْضِ رِحْلَـــةً ... لأَعْظَامِهَـــا دَارَاً وَنَحْـــنُ حَفُـــوْدُ(5)

38- أبـــا الـــمُنْذِرِ الفَيَّـــاضَ يَـــاخَيْرَ حِمْيَـــرٍ ... وخَيـــرَ بَنِـــيْ ذُهْـــلٍ، إلَيْـــكَ نُرِيْـــدُ(6)

39- نُرِيْـــدُ نَـــوَالاً مِـــنْ سِـــجَالٍ غَزِيْـــرَةٍ ... فَأَنْـــتَ لَهَـــا فـــي النَّائِبَـــاتِ مُفِيْـــدُ(7)

40- شَـــوَازِبُ قَـــدْ تَطْـــوِي نَقِـــيْلاً وسَبْسَـــبَاً ... ورَوْحَـــاً بِلَيْـــلٍ قَـــرُّهُنَّ شَـــدِيْدُ(8)

41- وقَطّعْـــنَ تِيْـــهَ الأَرْضِ مِـــنْ دِمْنَتَـــيْ (دَفَـــا) ... إلَيْـــكَ وقَـــدْ تُعْطِـــي الـــمُنَى وتَزِيْـــدُ(9)

42- صَـــرَفْنَ إلَيْـــكَ القَـــوْمَ تَـــدْمَى كُلُـــوْمُهُمْ؛ ... لِيُـــدْمَلَ قَـــرْحٌ مِـــنْهُمُ ولَـــهُوْدُ(10)

---

(1) جُمَاعَ: هي صَعْدَة، كانت تُسمى في الجاهليّة بِجُمَاع، وكان بها في قديم الدّهر قصر مُشَيّد، فصدر رجل من أهل الحجاز،فمرّ بذلك القَصر وهو تَعِبٌ، فاستلقى على ظهره وتأمّل سَمكه فلما أعجبه قال: لقد صَعَّدَه، لقد صَعَّدَه فَسُمِّيت صَعْدَة منيومئذٍ. صفة جزيرة العرب: 98. ثَرْوَة: العدد الكثير من الرجال والمال.

(2) أطافَ: ألَمَّ به واَسْتَدَارَ وجَاءَ من نَواحِيْهِ كُلِّهَا. أُطْمٌ: حِصْنٌ مبنيٌّ بحجارة، أو بناء مرتفع عال.
ينيفُ: وردت (تنيف) تصحيفٌ وصوابه ما أثبته .و(ينيف) يرتفع ويَعْلُو.

(3) حَيْفَة: - بفتح الحَاءِ وسكُون الياءِ- أطلالٌ بلدةٍ قَدِيْمةٍ اندثرتْ مع مُرور الزَّمَنِ بالقربِ من وَادي الخَادِر المشهور في اليمن. انظر: صفة جزيرة العرب: 157.
ضُمَّرٌ: أفراس أُطْعِمَتْ جيداً حتى شَبِعَتْ، وأُشْربت حتى ارتَوتَ، وأُرْكِضَتْ حتى ضُمِّرتْ، وأكثر ما تكون نشيطة حينئذٍوسريعة. شَوَازِبُ: هي الضَوَامِرُ مِنَ الأَفْرَاسِ.
وئيد: صوتٌ عالٍ شديدٌ، وقيل: الوئيد: شدَّة الوطء على الأرض يسمع كالدَّوي من بُعْد. اللّسان (وأد).

(4) أَزَالُ: اسمُ لصَنْعَاء نفسها أمُّ اليمن وقطبها. صفة جزيرة العرب: 81. تَبَادَرَ: أسْرَعَ.

(5) مُرْدِفُ: من الرّدْفِ، وهو تَبَعُ الشّيءِ، وكلُّ شيءٍ تَبِعَ شيئاً فهو رِدْفُه ويقال: جاءَ القومُ رُدَافى أي بَعْضُهم يَتْبَعُ بَعْضَاً.وأراد أنَّ الناسَ متصلٌ بعضهم ببعضٍ الآخر متوجّهين لأعظم ملك عرفه زمنه. اللّسان (ردف).
حَفُودُ: فَعُول: صيغة مبالغة لاسم الفاعل من الفعل (حَفَدَ) أَسْرعَ السَّيْروتداركه.

(6) أبـو المنـذر: هـو سيفُ بـن ذي يـزن الحميـريُّ. وقيـل كـان يكنَـى بـأبي مُـرَّة، وبـأبي الضَّـيْم أيضـاً. انظـر: شـعراء حمير.(الدّراسة):93. ذُهْل: هو ذو يزن الأكبر جدُّ سيف الملك الممدوح، بلغة خولان.

(7) السِّجالِ: الدَّلو الضَّخمةُ المَمْلُوءةُ ماءً.النَّائبات: المصائب والنّازلات.

(8) نقيْل: طَريق أو أرض، وقيل: مسيلُ الماءِ .
السَّبْسَبُ: المفـازةُ والقَفْـرُ، أو الأرض المسـتوية البعيـدة. وعـن ابـن شُـمَيْل: السَّبْسَـبُ: الأرض القَفْـرُ البعيـدةُ مسـتوية وغيرمُسْتوية، وغليظة وغير غليظة، لا ماء فيها ولا أنيس. التاج (سبب).
رَوْح: بَرْدُ نسيم الريّح. قَرُّهُنَّ: (القرُّ) هو: البَرْدُ عامّة، وقال بعضهم: البَرْدُ في الشِّتاء.

(9) التِّيهُ: الأرضُ، المُضِلَّةُ الوَاسِعة التي يُتَاهُ فيها لِعدمِ وجودِ أعلامٍ أو جِبَالٍ أو إكَامٍ.
دمنتي: مثنى الدِّمْنَةُ: المَوْضِعُ القريبُ مِنَ الدَّارِ.
دَفَا: - بفتح الدّال والفاء - موضع من شمالي بلد خولان، وجنوب جَنْب، وهي لبني صحار بن خولان، يقول الحارث بنعمرو السعدي:

ويَسْـــنمُ رَأسُ العِـــزّ مِـــنْ دِمْنَتَـــى دَفَـــا ... إلَـــى أســـفل المعشَـــار فَـــرْعَ التَّهَـــائِمِ

انظر البيت برواية مختلفة ق77/ب4، صفة جزيرة العرب: 117، 126، 250 ومعجم البلدان 458/2.
المُنَى: واحدة مُنْيَةٌ، وهو ما يتمناهُ الرجلُ ويرغب فيه .

(10)صـرفن: وردت (صـرفت) وهو تصحيف يخِلُّ بالمعنى. كلومهم: واحدها كَلْمٌ: وهو الجُرْحُ.
يدمل: يلتئم ويُشْفَى.

43- ويَرْتَـــــاشَ قِـــــدْحٌ مِـــــنْهُمُ ذُوْ تَمَـــــرُّطٍ ويَفْتَــاقَ يَومــاً مِنْــكَ وهْــوَ سَــدِيْدُ(1)

44- ونَصْـــــدُرَ مِنْـــــكَ بـــــالّتي تَتْـــــرُكَ العِـــــدَى عَبَادِيْــدَ مِــنْهُمْ خَــأْئِفٌ وشَــرِيْدُ(2)

45- لَعَمْـــــرُكَ مَـــــا أَدْلِـــــي بِغَيْـــــرِ مَـــــوَدَّتِي ومَــالِي سِــوَى مَاقَــدْ عَلِمْــتَ شُــهُوْدُ

الدراسة:

القصيدةُ منظومةٌ لغويّةٌ، تحفلُ بتداخلِ كثيرٍ منَ العلائقِ النّصيّةِ المرتبطةِ بعضها ببعضٍ ارتباطاً وثيقاً. وتشكّلُ اللّغةُ الوعاءَ الفنيّ الذي يحتضنُ الأفكارَوالأحاسيسَ والعاطفةَ والأسلوبَ الشعريّ، حيثُ تتشابك العلاقات وتلتقيمع الزمن بكل أبعاده.

وفي ضوءِ هذهِ الظلالِ المتداخلةِ، يُنشئ الشّاعرُ معجمهُ اللّغويّ الذي ترتبطُ فيهِ ألفاظُ النّصّ جميعها، ارتباطاً دلاليّاً ينسجمُورؤيته وفكرته الّتي تعدُّ صورة للنصّ الشّعريّ.

واتكاءً على الأقاويلِ الشعريّةِ التي تختلفُ مذاهبها وأنحاء الاعتمادِ فيها، يتألّفُ كلَّ نصٍّ شعريٍّ من أربعةِ عناصرَ أساسيّةٍ أشار إليها حازمُ القرطاجنيّ (675هـ -1285م) بحسبِ الجهةِ أو الجهاتِ التي يعتني الشّاعر فيها بإيقاع الحيلِ،وهيعمدة في إنهاضِ النفوسِ لفعلِ شيءٍ، أو تركهِ، أو هي أعوان للعمدة. وتلك الجهاتِ هي:

1- ما يرجع إلى القول نفسه.
2- أو ما يرجع إلى القائل نفسه.
3- أو ما يرجع إلى المقول فيه.
4- أو ما يرجع إلى المقول له.

وهنا لابدَّ من توجيه العناية إلى "مايرجع إلى القولِ نفسهِ " وعلى التحامه بالسّياقِ " ما يرجعُ إلى المقولِ فيهِ " وهما عمدتاهذه الصناعة الأدبيّة، ويأتي العنصرانِ الآخرانِ داعمينِ أساسيينِ لتحقيقِ المفاعلة اللّغويّةِ[3]، ويجدر بنا الوقوف عند مقدمة المطولة؛ للذي تحويه من معانٍ ودلالاتٍ فنية مهمة اعتمدها الشاعر للبحث عن الحياة المنشودة في أثناء بناء نصّهِ الشعري.

1- مفهوم الحياة في المقدمة الطللية:

لَـهُودُ: صيغة مبالغة من المصدر (لَهْد) وهو داء يصيب النّاس في أرجلهم وأفخاذهم كالانفراج.
([1]) يرتاشُ: يرُكّبُ على السهم ريشٌ. تَمَرُّط: هو نتفُ الرّيش.يفتاق: الأصل (فَوَقَ)، والفوق من السّهم: موضع الوتر،كالفُوقَةِ. وقال اللّيث: هو مَشَقُّ رأس السّهم حيث يقع الوتر. أي لا يخطئ الهدف والغاية. اللسان(ريش).
([2]) عباديدَ: متفرقين، وهو جمع لا واحد له.
([3]) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 346 .

إذا كان الشعراء قد انصرفوا في وقفاتهم الطللية إلى تصوير حياتهم الداخلية ومايمور فيها من مشاعر وأحاسيس تجاه المكان القفر الرهيب ، ولوّنوا أطلالهم بحالتهم النفسيَّة الخاصة بهم[1]؛ فإنَّ علقمة الخولانيقد بدأ وقفته الطللية بسُقْيا المكان بالوسمي ، ثُمَّ صار هذا الوسمي مجودًا لا نظير له،صبيبًاحاملًا معه مقومات الحياة المنشودة في مجتمع يسوده القحط والمحل، ولايخفى على أحد من الدارسين ما للماء من أهمية كبيرة في ذلك المجتمع الأوّلي ؛ إذ صار رمزًا للحياة وديمومتها ، فحيثما وُجِدَ وُجِدَتْ الحياةُ؛ لقوله تعالى ((وجعلنا من الماء كل شيء حيا)) الأنبياء(30)[2]واتكاءً على هذا فإنَّ فكرة الماء مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة الحياة ولايمكن البتة أن تستمر الحياة من دون الماء الذي لم يذكره الشاعر الجاهلي اعتباطيًّا أو لأنَّه سنَّة درج عليها أقرانه ؛ بل لغايةٍ في نفسه ،هي التعبير عن الفناء والتناهي اللذين يمثلان خوف الإنسان من الموت الذي ما فتئ يؤرّقه ويقض مضجعه.وبذلك يعيش صراعًا دائما في نفسه متجدداً بتجدد الأخطار المحدقة به من مثل خطر قبائل قَيْسِ عَيْلَان التي عزمت على إعمال السيف في قبيلة خولان ؛ ممّا دعا علقمة ورؤوس خولان بالتطلع إلى سيف بن ذي يزن الحميري المأمول عونه،فالمطر في ناصية المدحة الدالية موازة رمزية للحياة التي ستولد من عطاء الملك الحميري ومدده لرؤوس خولان بخمسة أقيالٍ* أنقذوا خولان وقضاعة اليمن من بطون قَيْس عَيْلَان (هَوَازنَ وسُلَيم)[3]. إذا كانت دالية علقمة الخولانيّ رسالةً يرسلها الشاعرإلى المتلقي (سيفُ بنِ ذي يزنٍ)، والتي يعالجها هذا البحث، فإنّ جانب الإرسالِ واضحٌ فيها ينطوي على معانٍ مدحية ثرَّةٍ وشمائلَ كريمةٍ أسبغها الشاعر على ممدوحه، يضاف إليها تصوير أهوال الطريقِ الشَّاقةِ التي اجتازها الشّاعرورفاقَهُ من بلدهِ مروراً بصعدة الى صنعاء وصولًا إليه كما لم يفت علقمة أن يلوّن لوحته الفنية ببعض معاني القوّةِ والصّلابةِوالصبر والثبات والصّفاتُالأخرى الّتي اتصفت بها ناقته مشفوعةً بالسرعةِ الأسطوريّة أحيانًا الرامزة الى التعلُّقِ بالحياة وعدم الاستسلام والانكسار أوالهزيمة أمام مشاقّ الطريق وطوله ؛ ممّا يعني الموت والفناء إمّا تعبًا وإرهاقًا وإمّا قتلًا برماح قيس عيلان التي تتربص شرًّا بخولان وأحلافها ، ولم يكن من سبيلٍ

(1) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : 82-83 .
(2) المطر في الشعر الجاهلي 138، 143 ، ونحوه في بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرئ القيس)187

*الأقيال: قالَ السُّهيليُّ: (وَهُمْ الَّذين دون التَّبابعة، واحدهم قَيْل، وأصله قَيِّل، مشدّداً على وزن فَيْعِل، ويقال في جمعه إن لم يشدّد أقيال، وهو مثل (سَيِّد) ثمَّ خُفِّف، واستعمل بالياء في إفراده وجمعه، وإن كان أصله الواو؛ لأنَّ معناه: الذي يقول يسمع قوله، ولكنَّهم كرهوا أن يقولوا (أقوال) فيلتبس بجمع قول، كما قالوا: (عيد) و(أعياد) - وإن كان من عاد يعود- لكن أماتوا الواو فيه إماتة؛ كي لا يشبه جمع العود، وإذا أرادوا إحياء الواو في جمع (قيل)، قالوا مقاول كأنّه جمع مِقْوَل، أو جمع مقال ومقالة، فلم يبعدوا من معنى القول، وأمنوا اللَّبس، وقد قالوا: محاسن ومَذاكر، لا واحد لها من لفظها، وكأنّهم ذهبوا أيضاً في (مقاول) مذهب المرازب وهم ملوك العجم، والله أعلم. على أنّهم قالوا (أقيال وأقوال)، ولم يقولوا في جمع عيد إلَّا (أعياد)، ومثل عيد وأعياد: ريح وأرياح، في لغة بني أسد، وقد صرفوا من القيل فشعْلاً، وقالوا: قَالَ علينا فلان؛ أي: ملَكَ؛ والقَيَالَةُ: الإمارة، ومنه قول النَّبيّ × في تسبيحه الَّذي رواه التِّرمذيُّ: (سبحان الَّذي لَبِسَ العزَّ وقَالَ به، أي ملَك به وقهر، كذا فسّره الهرويّ في الغريبين). الرّوض الأنف: 1/43-44، شمس العلوم: 8/5694. اللِّسان (قَوَلَ).
(3) الإكليل: ((المخطوط 1/106 ،المطبوع 1/ 425)) والإكليل 2/130، 249 .

سوى مواصلةِ السير إلى الملك الحميري الذي صُرِفَ النَّصُ لمدحه وهذا ما سيوضحه البناء المعجمي .

2- البناء المعجمي للدالية :

إنَّ معرفة السّياقِ شرطٌ مهمٌّ لقراءةِ النّصِ قراءةً صحيحةً، ولفهمهِ ضمنَ الظروفِ الّتي نشأ فيها وتشكَّلَتْ أجزاؤه ، ولا يمكنُ تناول النّصّ بعيداً عن سياقهِ الذي اِخْتِير له ؛ لأنَّ في ذلك فتحاً له على غيرِ الوجهةِ الصحيحةِ، ممّا يضعنا في وهمٍ وخلطٍ، ولم تكن وقفتنا في المقدمة الطللية النحيلة إلّا لفتقِ أكمامهِ وفهمِ فحواه، نتبيّن من خلالها مقاصدَ الشّاعر وغاياته التي نثرها على موضوعات عديدةً متباينةً في داليته، ربطت بينها وحدة الشعور النفسي التي تتوسل بغير موضوع من مثل " الطلل ، المحبوبة ، السقيا ، الرحلة ، الراحلة ، معاني الخوف ..... وغيرها " للوصول إلى المدح وهو الأصل ، فكثيرًا ما كان الشاعر يتوسل بغير موضوع لبلوغ مرامه [1] ولايخفى على البصير أنَّ هذه الدالية ترتبط بالواقع المعيش ارتباطًا عضويًا وبأنماطه السياسية المجتمعية وتدور حول أمر بعينه ، تستمد قيمتها الفنية من معجم المدح الذي التزم فيه الشاعر خطاب الممدوح أو ما يعاضده ،ولم يتجاوز مدحَ الملكِ إلى غرض آخر ، وقد بدا هذا جليًّا في عددٍ منَ المفاهيمِ التي أثبتها علقمة في أبنيةٍ لغويّةٍ متّسقةٍ اتساقاً محكماً تخدمُ فكرةَ النّصِ؛ فيمكن أن نعدَّ مفهومَ (الحياة) الذي ألمح إليه في ناصية الدالية وما يتّصلُ بهذا المفهومِ من فعاليةٍ لغويّةٍ ترتبطُ دلاليّاً بها أوثقَ ارتباطٍ، نواةً أساسيّةً تدورُ فكرةُ النّصِ حولها، لأنَّ قبيلةَ الشّاعرَ ((خولان)) مهدّدة بحربٍ ضروسٍ تُشَنُّ عليها من أجلِ الأرضِ والماءِ والكلأِ، هذه التي تمثّلُ الحياةَ. فتبرزُ الذاتُ المرسِلةُ في المقدمة الطللية بصورةٍ جليّةٍ من خلالِ طرحِ هذا المفهوم المتمثّلِ بالمطرِ، إضافةً الى الحبيبةِ التّي تعدلُ موضوعيّاً الحياةَ فيما يخُص البدويّ في صحرائهِ، لأنَّ اللّغة منظومة من الرموزِ التي يعملُ بعضها عملَ بعضها الآخرِ، فالشاعرُ يبعث عن الحياة المتمثلة بالمطر والمرأة إذا صح قولنا ،و يخشى الموتَالمتمثل بشبح الحرب الذي يلوح بالأفق ، ولمعرفة صدى هذا المذهب سنقف عند معجم الرحلة اللغوي بما ضَمَّه من ألفاظٍ طاغيةٍ في الدالية ، وكذا في معجم المدح وبعض البنى الأسلوبية التي وظفها علقمة لبيان ما يحوك في نفسه من رؤى وأفكار.

أ- معجم الرحلة:

يبرزُ التشكيلُ الفنيّ للّغةِ واضحاً، إذ يتكوّن من ألفاظٍ استمدَّها من عالمِ الارتحالِ المشحونِ برصيدٍ دلاليٍّ ضخمٍ في نفسِ البدويّ، (ركائب، شحصت، رحلة، إلى ملك، إليك، سرنا، غادرن، قَرَاهُنَّ، وخيّد، بطنا، سلكنا، ذمل، سميد، ترامى، فجافج، طوين، جميل الخافقين، مرت، تعدَّت،

(1) بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي قصيدة المدح أنوذجًا : 157 .

سارت، مسحت، أخفافها، تعالى، ترامت، صبَّحْنَ، مالت، استوينا، هبطنا، فارقت، تهوي، تطوي، قطعنَ، مردف...) وغيرها من الألفاظ التي ترتبط دلاليًّا بمفهوم الرحلة ولاتخرجعنها؛ بل تشكِّلُ كلُّ لفظةٍ منها لبنةً تلتصق بالأخرى وتعاضدها لترسم صورة لتلك الرحلة، واعتمادًا على ماسلف نجد (ركائب) ترتبط بـ(شحصت) وبـ(هَجْرًا)وبـ(رحلة) وبـ (إلى ملك) وبـ(سرنا) ...إلخ، لأنَّ الركائب في حالة السفر تبتعد عن الديار وتهجرها إلى الملك الحميري. وكذلكيضاف إلى ماسلف ألفاظ معاناة هذه الرحلة وما يدور في فلكها من مشاقٍّ وعِثَارٍ تذوق مرارتها علقمة ورفاقه ؛ لبعد الشُّقَّةِ وكذا كانت طاغية في النص طغياناً واضحاً (السّعال، ذو خفقة، سبسب، نجود، طود منفنف، بعيد، أضرّ بهم، سرى ،سهود، شوازب، قد تطوي، نقيل، روح بليل، قرُّهن شديد، قطّعن تيه الأرض، تدمى كلومهم، قرح، لهود، تمرّط، خائف، شريد) إضافةً إلى مفهومِ السرعةِ الذي أرهقَ عقلَ الشّاعر وأرّقه، وعايشهُ طوالَ رحلتهِ، لأنَّ في السرعةِ تحقيقاً لمصلحةِ القومِ وإنقاذاً لهم من الفناءِ الذي يلوحُوميضه في الأفقِ فيما لم يصل علقمة ورؤوس خولان إلى الملك الحميري المنشود يقول:

تَرَامَى بِنا مِثْلَ السَّعَالي فَجَافِجٍ وذو خَفْقَةٍ فَوقَ القُتُودِ يَمِيدُ

طَوَيْنَ جَمِيلَ الخَافِقَيْنِ بِسَحْرَةٍ ومَرَّتْ بِـ(مَاءِ الـحَبْطِ)، وَهْيَ تَهُودُ

تتكشف معاناة الشاعر من الفجافج التي يسير فيها وصحبه مثل السعالي التي عرف عنها السرعة في التنقل، ولاتفتأ أنْ تُرَى في مكانٍ حتى تجدها في آخر وفق صورتها المرسومة في تراثنا الثَّرّ ، وفي هذه الصورة تصريح بمفهوم السرعة الذي ينبئُ عن إرهاق ومشقَّةٍ، يضاف إليها قلق الرَّحْلِ الذي لايكاد يثبت على ظهر الراحلة يتأرجح يمنةً ويسرةً،وما قلقه إلاَّ قلقٌ ضَرَبَ نفوسَ القوم الراحلين صوب الملك ، ثمَّ انعكس على الراحلة المرهقة بالسرعة وكثرة الشَّدِّ الذي سوَّغَ استعمال الشاعرلصيغة المبالغة (جميل) الدَّالة على عظم ما اجتازوه من فيافي وعرة مترامية،وقد استطاعوا طَيَّ تلك القفار قبل تبلُّج الفجر وبزوغه (بِسُحْرَةٍ). وإذا ما أعدنا النظرَ كرةً أخرى نجد تقريبهم البعيدَ الشاسعَ بزمنٍ قليلٍ ينم على مبالغة في السُّرعة التي ما لبثت أن ضعفت حدَّتُها حينما وصلوا إلى (ماء الحبط)، فأصبحت رواحلهم تترفَّقُ في السير وتتأنى؛لما للماء من أهمية بالغة في أفئدتهم التي تتشوفُللحياة بكل معانيها، وهم الباحثون عنها والجادُّون في سبيلها، فهل يمكن لهم أن يعبروا تلك الحياة مسرعين من دون التَّهويد في جلالتها والعبِّ منها ما استطاعوا؟ ولهذاكان لابدَّ للقوم من التهويد عند الماء الذي يعدل موازةًللحياة لِلْعَبِّ منها،إذ لايمكن للمُرْهَقِ المُتْعَبِ من دون قيلولة في حضرة الماء أو حضرة الحياة إن صح القول.

ب ـ معجم المدح:

لطالما أنَّ المدحَ (فنُّ الثناء والإحترام والإكبار)[1]أوهو (تعداد لجميل المزايا ووصف للشمائل الكريمة وإظهار للتقدير العظيم ...لمن توافرت فيهم تلك المزايا)[2]؛ فإنَّ علقمة انتهب من معجم المدح مايضفي على الملك الحميري (المُرْسَلِ إليه) كل معاني الكرم والعطاء والسخاء والمروءة والشهامة وغيرها من الشيات التي تليق بملك ذاع صيته في الأنحاء وطبَّقتْ شهرته الآفاق،فنرصد الألفاظ (مجود، جود، ملك محض، ابن ذي التاجين، عميد، طلق، بأس، العلياء، أبية، يعطي البرية ماله، ذي مركب، تكامل فيه العقل وهو وليد، أقبُّ، طويل الباع، صبور، جليد، أنجم وسعود، خير، كرائم، مجيد، سيد، وصول، ودود، حام، أحمى، أطم، الفياض، سجال غزيرة، مُقيد) التي تدور في فلك الثناء والإحترام والإكبار والمزايا الكريمة التي تناثرت في معظمِ أجزاءِ القصيدةِ ولمتغادرها من بدايتها حتى نهايتها، وقد حمّل المُرْسِلُ (الشّاعر) نفسه عبء المسؤوليّة في أداءِ الرسالة الى الممدوح (المُرْسَل إليه) وهو يقلِّبُ أوجه الخطاب له، ليحقّق أكبر قدر توصيليّ في مهمتهالإرساليّة من مثل قوله :

أرَاكَ طَوَيـتَ الكَشْـحَ هَجْـراً عَلـىٰ الّتِـي ... كَلِفْـتَ بهـا والقلـبُ مِنْـكَ عَمِيْـدُ

فقُلـــتُ لهـــا: إنّـــي أُؤمِّـــلُ رحْلَـــةً ... إلىٰ مَلِكٍ مَحْضٍ نَمَتْهُ جُدُوْدُ

إلَيْـكَ ابْـنَ ذِيْ التَّـاجَيْنِ سُـرْ نَـا رَكَائِبًـا ... مُرَقَّعـــةً كـــأنَّهُنَّ حُيُـــودُ

إذَا انْبَعَثَتْ غادَرْنَ للسَّبْعِ شُنَّةً ... قِرًى وقَرَاهُنَّ البِلَادَ وَخِيدُ

إلـــى طَلِـــقٍ لَـــمْ يَعْقِـــدِ اللّـــؤْمُ كَفَّـــهُ ... وَمَـــــــــا زَنْـــــــــدُه

فيالمَكْرُمَاتِصَلُودُصلودصَلُوْد

يخاطب علقمة نفسه وقد طوت كشحها على عشقٍ أضناها وكسرفؤادها هاجرًا صاحبة ذلك العشق الذي بلغ منه مبلغًا عظيمًا إلى ملك انحدر من سلالة الملوك وآملًا نصره وعطاءه ثمَّ يلتفت بالرسالة إلى الملك نفسه وقد أسبغ عليه صفة ابن ذي التاجين، ثم يصف سيرهم إليه ورواحلهم التي تشبه نتوء الجبال لضخامتها وعظمها وقد استغنت عن أجنَّتها وتركتها طعامًا للسباع كرمًا منها؛ لأنَّ من عادة النوق أن تلقي حملها في رحلتها للإعياء والتعب على ماذكره الشعراء، ولم تكن تلك الرواحل عظيمة إلاّ؛ لأنَّ الطريق طويلة إلى الممدوح ووعرة ،وكيف يجتازون القفار والفيافي

(1) شعر يهود في الجاهلية والإسلام: 157 .
(2) فن المديح :5.

الشاسعةويقرون البلاد من أرض إلى أخرى لو لم يكن ذلك الملك عظيمًا ؟-وهو الذي يستحق أن يَفْنَى في سبيل الوصول إليه النفيس والرخيص-فكانت النوق عظيمة لبعد الطريق وطوله، وعظمها يتوافق دلاليًّا وعظمَ الممدوحِ ورفعته، إذ لايمكن لهؤلاء الراحلين أن يكون بحضرة ملك عظيم ونياقهم هزيلة نحيلة وهو مما لايناسب المقام والمقصود.

فالقيمة البارزة في هذه المدحة تركز على مفهوم العظمة والشيات النبيلة التي اتصف بها الممدوح؛لأنَّها رهينة الظرف التاريخي الذي تمر فيه خولان وأحلافها، يضاف إليها حقيقة الملكالذي كانت أوصافه في معظمها حقيقة واقعيةً[1]ونحو قوله أيضًا:

إلـــى مَلِـــكٍ يُعْطِـــي البَرِيَّـــةَ مالَـــهُ وقَـــال لهُـــمْ: عُـــوْدُوا فَسَـــوفَ أَعُـــوْدُ

لأنَّ الملك سخيٌّ عَبَرَ القومُ الأهوال وتجاوزوا الصعاب إليه،فهومَنْ يهب الخلق ما يملكه، وإن عادوا ثانية فسيعود إلى إكرامهم وتلبية حاجتهم.

والأنساقُ اللّغويّةُ الّتي تظهرُ فيها معاني المدح والإطراءَ جليةٌ، والألفاظ الّتي توحي بأنَّ الملكَ هو المخلِّصُ والمُنْقِذُ والأملُ المُرْتَجَى للقومِ في خلاصهم منَ الفناءِ الّذي يتهددهم كثيرةٌ.وقد استفاضت بعض الصيغِ والألفاظِ استفاضةًلَفَتَتْ عنايةَ القارئ،وكأنّي بالشاعرِ يبذلُكلَّجهدٍ لغويٍّ ودلاليٍّ في هذهِالرسالة الثّرة بمعانيها المدحيّة التي أطلق لها العنان، وجعلها في حلٍّ من أيّ حدٍّ يمكنُ أن تقفَ عنده ذائقته الفذّة، كي يُقْنِعَ (المرسَلَ إليهِ) بضرورةِ تقديمِ العونَ والمددَ لخولانَ المهدّدةِ بسيوفِ هوازنَ وسُليْم، اللتينِ تريدانِ انتزاع موطنها الذي يمثّلُ الحياةَ والوجودَ بالنسبة إليها.

من تلك الألفاظ المتكررة ما دارفي أفق ضمير المخاطب - وأنت- (إِلَيْكَ ابْنَ ذِيْ التَّاجَيْنِ،مِنكَ ياخَيرَ سَيِّدٍ، وأَنْتَ وَصُوْلٌ، إِلَيْكَ نُرِيْدُ، فَأَنْتَ لَهَا، إِلَيْكَ وقَدْ تُعْطِي، مِنْكَ وهُوَ سَدِيْدُ، ونَصْدُرَ مِنْكَ) الذييمثّلُتكثيفاً دلاليّاً ولغويّاً للرسالةِيتمثّل بعلو مكانة الممدوح بين ملوك العرب قاطبة من جانب مجتمعي،ويصور حجم الآمال المُعَلَّقَةِ عليه في تلبية طلبة القوم من جانب ذاتي، وعليه فإنَّ الاعتماد على ضمير المخاطب يوحي بعلوّ مكانة الملك ورفعته دون غيره من أقرانه، وأنَّ عيون القوم مشدودة نحوه دون سواه، وهو المطلوب للعطاء القادر عليه دون ملوك العرب.

ج- بُنَى أسلوبيَّة:

يهيمنُ على النَّسقِ اللُّغويّ الواحدِ قضايا لغويّةٌ وأسلوبيّةٌعديدةٌ، منها الأفعالوالجمل الحالية، وبعض المشتقاتِ التي حَفَلَت بها القصيدةُ، تناسبًا مع مقامِ النّصّ وفحواه، إضافةً إلى ظاهرةٍ أسلوبيّةٍ التقديمِ والتأخيرِ. ويساندُ هذه السلسلة في التركيبِ النحويّ بنيةٌ إيقاعيّةٌمطابقةٌ للنسقِ اللّغويّ تجسَّدت

(1) بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي قصيدة المدح أنوذجًا : 30 .

في الوزنِ الشعريّ والقافيةِ. من المعروفِ أنَّ الجملة الاسميّة تفيدُ الثبوتَ والتزامَ أمرٍ بعينه، بينما تفيدُ الجملةُ الفعليّةُ الحركةَ والنهوضَ والفزعَ من حالٍ إلى أخرى، ولمّا كان المقامُ، مقامَ رحلة إلى ملكٍ، مشفوعةً بالسرعةِ، أنهب الشّاعرُ مطولته الجملَالفعليّةَالتي كثرت كثرةً كاثرة التحمت بالحركةِ المستمرّةِ الدافعةِ، وبالنهوضِ العَجولِ الى الغايةِ والمرامِ، لتبلغَ أفعالُ هذهِ الداليّةِ اثنين وثمانين فعلاً هيمنت على الأبياتِ بشكلٍ ملحوظٍ، وكأنَّ الشّاعرَحينذاك يعيش تحتَ وطأةِ إيصالِ الرسالةِ ومشاعر الحرص على الوقت، والجدِّ بالسير بسرعةٍ قصوى،ولم يستطع فكاكاً منَ الأفعالِ الّتي تدلُّ على الحركةِالمتلاحقةِ في النَّسقِ اللّغويّ الواحدِ في عديدٍ من المواضعِ؛ لأنَّ نفسَهُ مأزومةٌ تعاني منالقلق والخوف اللذينتجسَّدا في حركةٍ دؤوبةٍمتتابعة؛ ممّا دفع الشاعر للاتكاء على الجمل الفعلية التي تنوعت أفعالها بين الماضية والمضارعة؛ إذ لكلٍّ منها دلالة تناسب السياق الذي استخدمت فيه ، فنرصد الأفعالالماضوية في أثناءِ نثر ألفاظِ المدح على الممدوحِ؛ لدلالتها على ثباتِ الصفاتِ واستقرارها؛ بل تجذُّرها في شخصِ الملكِ، فهيَ جزءٌ من وجودهوحسبي بعضها ههنا (تكامل فيه العقل) و(تكامل فيه منصب)و(نماه)و(نمته).أمّا عن الأفعالِ الماضويّةِ المستخدمةِ في وحدةِ الرحلةِ المعادلةِ للزمنِ الماضيفانتهبت معظم أبيات المطولة ولايكاد يخلو بيت منها،ويؤكِّدُ حضُورُها الحدثَ وما نتج عنه منمعاناة القومفي أثناء الرحلة وتصوير القدرة على اجتيازِ الفيافي الواسعة والفجافج الطويلة وما لفَّها من صعابٍ وأهوالٍ، وتقديم هذه الصعاب والأهوال في قوالبِ لغويّةٍ مناسبةٍ توضّح للملكِ حجمَ تلك المعاناةِالتي كانت أحد العوامل الدافعة؛ لاستعطاف قلب الممدوح وتلبية طلبة القوم.

أمَّا عن استخدامِ الأفعالِ المضارعةِ الّتي تدلُّ على الحركةِ واستمرارها فتكاد تكون معدومةً؛ لعدم مناسبتها لسياق المدحة وظرفها الزمني الذي صيغت فيه، إذ لايخفى أنّها خِطابٌ للملك في حضرته وأمام رجالاته الذين لَحَظُوا جميعهممعاناة الوفد في أثناء الرحلة؛فجاءت أفعالها ماضية دالة على الثبوت والاستقرار. وفيمايخص الأفعالالمضارعة في أثناءِ إسباغِ المدحِ، فإنّ علقمةَ استعملها في أسلوبٍ تبالغُ فيه العربُللتكثيرِ (وقد تعطي المنى وتزيد) ما هذه الصيغة إلا للتعبير عن كثرة رماده ورفعة عماده [1].

أمّا عن الصِّيغِ الصَّرفيّةِ التي خرجت إلى التعبير عن تأصّلِ معجمِ المدحِ في شخص الملكِ، فجاءت مصوغة من الأفعال اللّازمةِ قياساً؛ لتدلّ على الصفاتِ الثابتة في المتلقي(الممدوح) أو(المرْسَلُ إليه) مثل:(صلود،جليد،مجيد،تليد،غزيرة،وليد،طَلِق، محض، أبية، أقب، طويل، كرائم، قريب، سميد، بعيد...) فالصفة المشبَّهة باسم الفاعلِ، صيغةٌ دلاليّةٌ تعبّر عن ثباتِ الصفةِ في

196

(1) مغني اللبيب 230/1 .ينظر معنى قد التكثيرية مع الفعل المضارع .

الموصوفِ، سيَّما أنَّ الملك من سلالةِ ملوكِ حميرَومثامنها[1] العظماء. وقد تكرّرَت في بعضِ المواضعِ صيغة مبالغة اسم الفاعل للدلالةعلى التكثير في الفعل وتكراره، وكلٌّ منها في سياقه ودلالته يدلُّ على المبالغة في الفعل(صبور،ودود،فياض،وصول،سهود،حفود،لهود) وكذا ورد اسمُ التفضيلِ (خير)أربع مرات[2]؛ ليدلّ على أنَّ سيفَ بنِ ذي يزنٍ هوَ من أفاضلِ الخلقِ من حِمْيَر والسادة من بني ذهلٍ. وما يلفتُ النظرَ في هذه القصيدةِ تكرارُ بعضِ أبنيةِ الفعلِ ومعاني الزيادة فيها (تَقَادَمَ منها العهد وهو جديد، تَكَامَلَ فيه العَقْلُ وهو وَلِيْدُ، تَكَامَلَ فيهِ مَنْصِبٌ لم يُلَتْ بهِ)، الذي يعبّر عن التظاهرِ بأصلِ الفعلِ وهو منتفٍ في الواقعِ، فكيفَ يكونُ العهدُ قديماً وهو جديدٌ حاضرٌ في ذهنِ الشّاعرِ وعقلِهِ؟ وكيفَ يكملُ عقلهُ ويبلغَ درجات الرّجالِ في الوعي والتفكير والادراكِ وهو ما يزال وليداً صغيراً؟وكيف يكمل المنصب بالرجل؟ ومقام الملك مقام لايزيده ولاينقصه إنسانٌ.

إنَّ الرغبة الجامحة في الوصولِ إلى الممدوحِ ونيلِ عطائهِ، هو ما جعلَ الشّاعرَ يزجي هذه الأبنية في حلّةٍ بهيّةٍ تجلّبتها الرسالة. كما عمدَ إلى استخدامِ صيغِ التكثيرِ في الفعلِ والتكلُّف فيهِ في أثناءِ وحدةِ الرحلةِ، ليعبّرَ عن معاناتهِ ومكابدتهِ الطريقَ الطويلةَ (يُقَلِّبُها، أوْمِل، يُؤَمَّلْن، تَعَدَّى،كبَّر، يقَلِّبُها، أَقَرَّها ، أضرَّ، صبَّحْنَ). يضافُ إلى ماسلف الإيجازُ الذي تعبّر عنه هذه الصيغُ وتكثيفها المعنى الذي توشّحَ في عديدٍ من المواضعِ بالجملِ الحاليّةِ التي تنوَّعت بين اسميّة (وهو جديد، وهي جامعة الهوى، والقلب منك عميد، والعباد هجود، وهو سديد، وهو وليد، نحن حفود، والعريب رقود، وبطن القاع منه بعيد)، لتدلّ على استقرار المعاني فيما استخدمت له وثبوتها مجردة عن الزمان،وبين اسميّة خبرها جملة فعليّة (وهي تهود، والمقر يذود)؛ للدلالةِ على الحال المستمرة، وهي تعبيرٌ أسلوبيٌّ يصوّرُ حاجةَ القومِ للعونِوالمددِ.

وعلى نغمةِ التكرارِالتي أطلقها المُرْسِل في القصيدةِ لبعضِ الألفاظِ التياكتست بإيقاع موسيقي واحد،وتشابكت بدلالة معينة في نسقها اللغوي مع جاراتها، اتكأ علقمة الخولاني على أسلوب التقديم والتأخير؛لأغراض بلاغية مهمَّةٍ(هو باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضِي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزال ترى شعراً يرُوقُك مَسْمَعُهُ، ويَلْطُف لديك موقعُهُ، ثمَّ تنظرُ فتجدَ سببَأنْ راقكَ ولَطُف عندكَ،أنْ قُدِّمَفيه شيءٌ، وحوّلاللّفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ)[3] فلا تقديم من دون فائدةٍ بلاغيّةٍ يزجيها الشّاعرُالذي يريدُ غرضاً يطلبهُ منَ المتلقي، كأَنْ يصرف ذهنه لذلك المقدَّمِ لأهميته وعلو شأوه في سياقه في حين (وقعَ في ظنونِ الناسِ أنّهُ يكفي أن يقالَ: (إنّه قُدّم للعنايةِ ولأنَّ ذكره أهم) من غير أن يذْكَر، من أين كانت تلك العناية؟ وبِمَ كان

(1) المثامنة: ثمانيةً من أبناءِ الملوكِ، كان ملوكُ حِمْيرَ يختارونهم، ولا يصلحُ المُلْكُ إلَّا بهم وإن اجتمعوا على تنحيته، عزلوه، قال الهمدانيّ: (وهم ثمانية أبيات افترقَ فيها المُلْكُ بعد ذي نواس وقبل ذي نواس في الخَرْفَة الأولى وهم بحسب قوله: ذو سَحَر وذو تُعْلُبان وذو خَليل وذو عُتْكُلان وذو جَدَن وذو مناخ وذو صِيْرواح) الإكليل 266/2.

(2) ورد في البيت الرابع والعشرين والثامن والعشرين مرةً وفي البيت الثامن والثلاثين مرتين.

(3) دلائل الاعجاز: 106

أهمَّ)[1]وفاتهم أنَّه لا يمكن تعليل تقديم شيءٍ على آخر من دون تبيان النكتة البلاغية المرادة منه وربطها بسياقها الذي اختيرت له في الأصل.

ومن مظاهرِ التقديمِ والتأخيرِ الأثيرةِ لدى الشّاعرِ تقديمهُ الجارَّ والمجرورَ على عمدة الجملة يقول:

إِلَيْـكَ ابْـنَ ذِيْ التَّـاجَيْنِ سُـرْنَا رَكَائِبَـاً مُرَفَّعـــــــةً كـــــــأَنَّهُنَّ حُيُـــــــودُ

قدّمَ الجارَّ والمجرور (إليكَ) لما له من الحسنِوالفخامةِوالتخصيص، وليقِّيدَ ذهنَ السامع بالممدوح دون غيره، فهو الأمل لهم والمخلِّص من براثنِ العدوِّ الذي يتربّصُ بهم، وكيف للشّاعرُأنْ يقدمالفعل على ذكرِ عظمةِ الملكِ الحميريِّ وجلالةِ قدرِهِ، والمدحة بثوبها القشيب تدورُ عليهِ بل تلبسه وتكتسي به، ولو قُدِّم الفعلُ على القيد لانتفى بهاءُ الجملة وجلالها ولم يبقَ لها بريقهاوألقها.وفي موضع آخر يقول:

نَمَاهُ إلى العَلْيَاءِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وبأْسٌ غَدَاةَ البَأْسِ مِنْهُ وجُودُ

قدَّم الجار والمجرور (إلى العلياء) على الفاعل؛ للدلالة على سمو المكان ورفعته الذي لايصله إلاَّ من حاز النفس الأبيَّةَ والبأسَ الشديد والجود،ولم يقدم صفات الممدوح في هذا المقام على العلياء؛ لأنَّه أتى على بعض خلاله في الأبيات السالفة، أو لأنه يريد إخبارنا بأنَّه ابن الرفعة والسُّمو اللذين لايضاهيه أحد فيهما لما له من شيات ندَّ نظيرها وإلى مثل هذا أشار الجرجاني بقوله: (كأنهم يقدِّمون الذي بَيَانُه أَهمُّ لهم ، وهم ببيانهِ أَعْنَى، وإنْ كانا جميعًا يُهِمَّانهم ويَعْنِيَانهم) [2] ومن المعاني الطريفة تقديم الـمُحَدَّثِ عنه الذي يقتضي الوعد والضَّمان وهوممَّا يكثر في المدح نحو قول علقمة :

يُؤَمِّلْنَ نَصْرًا منْكَ ياخَيْرَ سَيِّدٍ وأنتَ وَصُولٌ لِلْقَرِيْبِ وَدُودُ.

فذلكمن شأنِ من يعدُّهُ ويضمن له أن يأتيه الشكُّ فيما صرحّ به في تمام الوعد والوفاء به؛ فقدَّم الممدوح الذي أخبر عنه بأنَّه وصولٌ ودودٌ؛ لنفي الشك الذي يمكن أن يتبادر إلى أذهان السامعين فيما يمدح [3].

ومنه تقديم الـمُحَدَّثُ عنه بعد واو الحال الذي تكرر مرات في الدالية لما له من بهاء وبيانٍ أوقعُ في النفس وآكَدُيقول:

تَحَامَيْنَ أَحْمَى مِنْ عُدَاةٍ أَقَرَّها فَوَارِسُ قَيْسٍ والـمُقُرُّ يَذُودُ

(1) دلائل الاعجاز: 108 .
(2) دلائل الاعجاز: 107 .
(3) دلائل الاعجاز: 135 .

إنَّ تقديم المُحَدَّثِ عنه (المُقِرُّ) بعد واو الحال حَسَنٌ مُسْتَجَادٌ لتوكيده مضمون الفكرةالمرادة؛ لأنَّ (الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم وتبني الفعل عليه) [1] وقوله السابق أبلغ في الذود والقتال من قوله " أقرها فوارس قيس ويذود المقرُّ " بل نجد اللفظ قد نبا عن المعنى، والمعنى زال عن صورته والحال التي ينبغي أن يكون عليها.

ومن اللطائف البلاغية التي تلفت عناية القارئ التنكير الذي تكرر في غير موضع وحسبيقوله ههنا:

إلـــى طَلِـــقٍ لَـــمْ يَعْقِـــدِ اللّـــؤْمُ كَفَّـــهُ وَمَـــا زَنْـــدُه فـــي المَكْرُمَـــاتِ صَـــلُوْد

الناظر في تنكير (طلق) يجد حسنًا وروعة لايُقَادَرُقَدْرها، ويجد عدمها مع التعريف الذي يجعل السماحة والسخاء بقدرٍ معين، والسبب في ذلك أنَّ المعنى على الازدياد من سماحة الممدوح وسخائه لا العطاء منأصله[2]، فكرمه لاحدود له، مطلقٌ، ما أطمع وفد خولان فيه، وهل يطمع بغير كريم لايوازيهأحدٌ؟ أما لو جعل الصفة المشبَّهة (الطلق) معرفةً لنبا المعنى وندَّ عن مراده وصار للممدوح أقرانٌ في العرب وهوممَّا لايتناسب ومقام الممدوح الذي تفرَّد بصفاتٍ دون غيره.

3- البناءالإيقاعي للدالية:

إنَّ أوَّلَ أثرٍ يتركه الشعر في نفس المتلقي هو أثرٌ سمعيٌّ نابعٌ من ترتيب المقاطع الصوتية وتواليها التي تعمل مع القافية لخلق إيقاع نغمي ميّز الشّعر عن غيره[3]·ممَّا يضفيعلى الألفاظِ بِجَرْسِهِ واتساقهِ حياةً فوقَ حياتها، ويَهَبُ الكلامَ مظهراً من الجلالِضمن نُظُمٍ عروضيَّةٍلا يمكن الخروج عنها وقد عَدَّها ابن رشيق (أعظمَ أركانِ حدِّ الشعر وأولاها به خصوصيَّةً)[4] وأنَّها تؤثِّرُ في المعنى المعجمي تأثيرًا واضحًا بل إنها تميل حتى إلى أن تحمل نفسها بقيمة دلالية [5].يقول ابن عبد ربّه: (زعمت الفلاسفة أن النغم فضلٌ بقيَ من المنطق لم يقدر اللّسان على استخراجه، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع، فلمّا ظهر عشقته النَّفس وحنَّ إليه الروح،... ألا ترى أنَّ أهل الصناعات كلِّها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان) [6] فالشّاعر يعبّرُ عمّا يجيُش في خاطرهِ بألفاظٍ تراصَّت في عقلهِ وتناسبت فيما بينها في المعنى والشكل، حتّى تكونَ متساوقةً منسجمةً كأنّها من عائلةٍ واحدةٍ، لأنَّ الغرضَ واحدٌ، لكنّ النفسَ أعمق غوراً وأبعدُ من أن تعبّر عنها بألفاظٍ بمفردها، فيأتي اللّحن المطرب ليبرز ما قصرت عنه الألفاظ أو عجزت؛ لأنَّ الإحساس

(1) دلائل الاعجاز: 136 .
(2) دلائل الاعجاز: 288 بتصرف.
(3) المكان في الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: 189.
(4) العمدة في محاسن الشعر 1/ 134 .
(5) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية، محمد صابر عبيد :17.
(6) العقد الفريد: ج7 / 5.

بالجمال في قراءة الشّعر ناتج عن الضربات والتوقيعات الصادرة عن (سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى)[1] ولمعرفة صدى الإيقاع في المعنى لابدَّ من الوقوف على الإيقاع الخارجيّ المتمثِّل في الوزنِ والقافيةِ، والإيقاع الداخلي المتمثل بالموسيقى الداخلية.

أ- الوزن العروضي:

الوزنُ العروضيُّ جزءٌمهمٌّمِنَ المعنى وسياقهِ الذي وُجِدَ فيهِ، وكثيراً ما ترتبطُ جماليّةُ الشّعر بموسيقاه التعبيريّة المنبثقةِ عن تكرار الوزن لعددٍ من التوقيعات الإيقاعية إلا أن قوة هذا التكرار تتمثل في توليد نوع من التوازي بين الكلمات والأفكار، وكلما كان هذا التوازي واضحاً في تكوينه أو نغمته تولد عنه تواز قوي بين الكلمات والمعاني[2]ممَّا يسهم إسهاما كبيرًا في بنية النص ويكسبه قيمةًمستمدةً من صورته الموسيقيّةِ التي تحفظ له بنيته الفنية وتحكم بناءه بانتظام وترتيب متلازمين.

نجدُ علقمةَ الخولانيّ قد اختارَ البحرَ الطويلَ ليصبَّ فيهِ تجربتهُ الشعريّة (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، وهو بحرٌ رحيبُ الصدرِ طويلُ النَّفَسِ، وجدت فيه العربُ مجالاً أوسعَ للتفصيلِ، وكانَ أصلحَ من غيرهِ لتسجيل الأخبارِ والوقائع والأحداثِ[3].وهذا ما أعان علقمة على تسجيل أخبار رحلته بقضها وقضيضها وما عانوه في أثناء طيِّ الفيافي الواسعة،يضاف إليها المعاني المدحية الثَّرَّةِ التي أسبغها على سيفٍ الحميريّ، ولو عمد إلى أحد البحور القصار التي تصلح لفنون العبث واللهو والغناء أكثر من غيرها لما أسعفته في التعبير عمّا يحوك في نفسه[4].وكذا هو"بحرُ الجلالةِ والنبالةِ والجدِّ، ولو قلنا إنه بحر العُمق لاستغنينا بهذه الكلمة عن غيرها، لأنّ العُمْق لا يمكن أن يُتَصَوّر بدون جدّ، وبدون نُبْل وجلالة. وما يتعمق المتعمق إلا وهو جادٌ، أيّاً كان ما تعمّق فيه. ولهذا فإنّك لا تجد قصائدَ الطّويل الغُرر إلا مَنْحُوّاً بها نحو الفخامة والأُبّهة من حيث شرفُ اللّفظ وهُدُوء النّفْس، واستثارة الخيال، وتخيّر المعاني"[5]،يقولُعلقمةالخولاني في مطلع داليته:

سَـــقَى طَلَـــلاً بـــالجَلْهَتَيْنِ رُعُـــودُ ... وَغُـــــرٌ سَـــــوَارٍ سَـــــيْلُهُنَّ مَجُـــــوْدُ

مَنَـــازِلَ مِـــنْ أمِّ الحُصَـــيْن عَهِدْتُهَـــا ... تَقَـــادَمَ مِنْهَـــا العَهْـــدُ وَهْـــوَ جَدِيْـــدُ

لا يأتي البحرُ الطويلُ صحيحاً في أكثر الأحيانِ، فلا بدّ فيه من زحافِ القبضِ (حذف الخامس الساكن)، فتتحوّل (فعولن) إلى (فعول)، وكذلك علّة الحذفِ في العروض والضربِ (حذف

(1) نظرية الأدب: 165

(2) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية و البنية الايقاعية :24.

(3) المرشد إلى فهم أشعار العرب:452/1ومابعدها وانظر كيف عرض الطيّب لقصيدة الأخنس بن شهاب التغلبي الذي جاء على ذكر بني عدنان وأيامهم ومآثرهم، وكأنه يسرد في القصيدة تاريخهم.

(4) المرشد إلى فهم أشعار العرب:108/1.

(5) المرشد إلى فهم أشعار العرب :467/1 .

السبب الخفيف الثاني)، فتتحوّل (مفاعيلن) إلى (مفاعي)، والعلّة لازمة إذا ما أصابت العروض والضرب، فقد جاءَ الضرب مصاباً بالحذفِ (مفاعي)، بينما جاءت العروض كذلك في البيت الأوّل، وفي بقيّة الأبياتِ مقبوضة (مفاعلن). كما أنّ الزحاف في الوزنِ وقعَ في التفعيلةِ الأولى والثالثة من كلِّ شطرٍ، وفي التفعيلةِ الأولى منالشطرِ الثاني في بعض الأبياتِ (38-28-19-17-12-2-1). أمّا في بقيّةِ الأبياتِ فجاءت (فعولن) تامَّةً. وهذا من شانه أن "يخلق تنويعًا موسيقيًا يخفف من وطأة النغمات ذاتها التي تتردد في إطار الوزن الواحد من أول القصيدة إلى أخرها "[1] ولا يمكن أن نعتني بالوزنِ وحده من دون الالتفاتِ إلى فاعليتهِ في السّياقِ، من خلال الانتظام والتراتبيّةاللّتين تولّدهما تفعيلاتُ البحرِ في أبياتٍ متتاليةٍ أو في بيتٍواحدٍ، فيحدث ذلكَ توافقاً وانسجامًاوالحالةَ النفسيّةَ لعلقمة الذي يعاني من تَوَتُّرٍتجلَّى في مفهوم السرعة الذيألِفَ أبيات الدالية بتمامها التي لم يكد يخلُ منها بيتٌ من الأفعال الماضية أو المضارعة التي تدل على الحركة المنتهية في حدود الزمن الماضي أو المستمرة وهذا ما يوؤُل بتناغمٍ بين انتشار الزحافات والحالة النفسية للشاعر؛لأنَّ " شيوع الزحاف بشكل عام في المواقف المنفعلة أو المميزة في الحالة النفسية، يمكن تفسيره بأن شدة الانفعال يرافقها في الأداء اللغوي أو الموسيقي نوع من السرعة الملموسة، أي سرعة في الأداء، وللرغبة بتوصيل المعنى والتنفيس عن الحالة بنحو أسرع من الشكل العادي الهادئ وغير المنفعل، ولأن الزحاف- بتعريفه العروضي- هو كل تغيير يتناول ثواني الأسباب، ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن- فإنه يؤدي إلى اختصار في عدد الأحرف، وتقليص في عدد المتحركات، أي أنه من ناحية الأداء الصوتي سيعمل على اختصار الزمن، ولهذا فهو يتفق وحالة الانفعال التي تتطلب السرعة"[2]. وقد نذهب أبعد من ذلك حينما نرصد كثرة الحركات إلى السكنات داخل التفعيلة الواحدة التي تشي بمرونةٍ واسترسالٍ؛ لأنَّ ائتلاف "أجزاء تكثر فيها السواكن فإن فيها كزازةً وتوعّراً، وما ائتلفَ من أجزاءٍ تكثُرُ فيها المتحركات، فإنّ فيه لدونةً وسباطةً"[3]ويتبين للقارئ أنَّ نسبةَ الحركاتِ إلى السواكنِ في البيتين الأوّلِ والثاني مثلاً ست وعشرون حركةً على ستّة عشر ساكنًا، وفي أبياتٍ أخرى سبع وعشرون حركةً على ستّة عشر ساكناً،وهي ميزة عامة في الدالية ما يحدونا إلى القولِ: بأنَّتلك الأنغام والتوقيعات التي تولّدها حركاتُ الوزنِ وتوزّعها وعلاقات التفعيلات بعضها ببعض متناغمة مع المعنى، الذي يمثّلُ التجربةَ الشعريّةَ إذ إنَّ التقسيمات بين الحروفِ المتحرّكةِ والحروفِ السّاكنةِ وما تحدثهُ من موسيقى، ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بالحالةِ الشعوريّةِ للمبدعِ الذي استطاع أن يؤلّف بين السواكن والمتحركات على نحو مُسْتَحْلَى ما يجعل شعره مستطابًا[4]، وينمُّ على ما يعتور نفسه من انفعالات ومعانٍ إنسانيّةٍ متباينةٍ وفقاً للمقامِ، كما أنَّ الوزن العروضي بما يحويه من تحكّمٍزمنيّ،

(1) بناء القصيدة في النقد العربي القديم :172 .
(2) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية و البنية الايقاعية :29 .
(3) منهاج البلغاء وسراج الأدباء:267
(4) منهاج البلغاء وسراج الأدباء:267

استطاعَ أن يستوعبَ الحركة المستمرّة في نفس الشّاعر التوّاقة إلى الحياةِ التي يطلبها لنفسه ولقومه من الملك الحميرّي بمدّه لهم بالعون.ولـم يكن اللجوء إليها أكثر من مجرد انحراف عن النظام، بها يصبح ذلك النظام أكثر وضوحاً وأقوى ظهورا؛ بما ينسجم ويتلاءم مع خصوصية التجربة وقوانينها الداخلية[1]. بمعنى أن الأساس من هذه التقسيمات العروضية إسهامها في تثبيت إيقاع القصيدة و استعادة نظامهاالموسيقي الذي وضعت له في الأصل .

ب- القافية:

قالَ بعضُ العربِ لبنيهِ:"اطلبوا الرِّماحَ فإنَّها قرونُ الخيلِ، وأجيدوا القوافي فإنَّها حوافر الشّعرِ، أي: عليها جريانهُ واطرادهُ، وهي مواقفهُ، فإن صحَّت استقامت جريته، وحَسُنَت مواقفهُ ونهاياتهُ"[2]. لقد كانَ لحوافر الرَّاحلةِ دورٌ مهمٌّ في إزالةِ همِّ صاحبها وتخفيفِ معاناته؛لأنَّ لها فعلاً يشبهُ الموسيقى، بل لها إيقاعٌ منتظمٌ يدومُ طويلاً تقدّمه إليه حوافرها، فيتراخى ذهنهُ لهذا الإيقاعِالذي "يتألف من مقطعين صوتيين يختم بهما البيت، يتألَّف أولهما من حرف متحرك وحرف ساكن،وثانيهما من حرف متحرك أو أكثر وساكن واحد"[3] لهما أوثق الارتباط بدلالة القصيدة معنى ومبنى[4]،وقد تنبّه النقاد العرب القدماء إلى(الأثر الموسيقي الذي تحدثه القافية وإلى ضرورة ارتباط موسيقاها هذه بدلالة القصيدة معنى ومبنى ارتباط موسيقا الشعر الملحن بمعناه والغرض الذي نظم فيه)[5]فالقافية وما تحدثه من تنغيم موسيقي يرتبط ببنية القصيدة الدلالية والبنائية ارتباطًا وثيقًا، و(لا يمكن لها أن تكتفي بدور الضابط الموسيقي المجرد، وإلا فإن القصيدة تفقد بذلك جزءاً مهماً من حيويتها وقوة أدائها، إذ لابد لها أن تشترك اشتراكاً فاعلاً في التشكيل الدلالي كي تحتفظ بموقعها وتكتسب رصانة خارج إطار إمكانية استبدالها، بما يمكن أن يقابلها صوتياً، ويحافظ فقط على الاتساق العام للقصيدة؛ لأن هذا الاتساق الذي تمتاز به القافية والذي يشبه اتساق الوزن يخلق شعوراً بوحدة الإيقاع الموائمة لوحدة المعنى فثمة انسجام يجب أن يكون تامًّا بين بنية الإيقاع وبنية الدلالة، إذ إن أية مفارقة بينهما تؤدي ضرورة إلى خلخلة وارتباك في التشكل العام لهيكل القصيدة ويفقدها تماسكها النصي)[6] و(الشاعر المجيد لا يكدّ في طلب القافية، ولا ينتزعها انتزاعاً، وإنّما تتّفق له في يسر ولين وكأنّها القادم الموعود الذي لاحت بشائره،فتاقت إليه النفوس شوقاً وحنيناً حتّى إذا بدت القافية تعانقت مع اللّفظ والمعنى في وئام والتئام)[7]، فالقافية ينبغي أن تكون كالموعود التي ينتظرها

(1) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية :30
(2) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 271 .
(3) موسيقا الشعر: 102 .
(4) نقد الشعر: 168
(5) القافية والأصوات اللغوية : 94
(6) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية :91 .
(7) منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر: 211.

المتلقي (لأنّها هي التي تؤسس المعنى ... وهي فوق المعنى وسابقة عليه)[1] فهذا ابن طباطبا العلوي يطلب من الشاعرأن (تكون قوافيه كالقوالب لمعانيه، وتكون قواعد للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها، ويكون ما قبلها مسبوقا إليها، ولاتكون مسبوقة إليه، فتعلق في مواضعها، ولاتوافق ما يتصل بها، وتكون الألفاظ منقادة لما تراد له، غير مستكرهة ولا مُتعبَةٍ مختصرة الطرق، لطيفة الموالج ،سهلة المخارج)[2].

اختارَ علقمةُ لداليّتهِ قافيةً تلبّي دفقتهُ الشعوريّة اللاهثةً وراءً الحياةِ، وما أحكمَ رباطَ هذهِ القافيةَ، أن وقعت نفسه على رويٍّ مناسبٍ، فالدَّال حرفٌ مرققٌ مجهورٌ شديدٌ وهوما(يتسم بحركة ملازمة له، تلك الحركة تقرع الأذن بشدَّةٍ وتوقظ الأعصاب بصخبها فيكون لها من الإثارة نصيب)[3]والقافية المؤلّفةُ من مقطعينِ صوتيينِ (5/5/) توحي بالجهور والفخامةِ والجلجلةِ[4]وترتبط بصفات السرعة والحركة والجرأة والشجاعة اللواتي أسبغنَ على الممدوح من جانبٍ مثل(جود، صلود، جليد،مجيد، يذود، تزيد ،سديد) وعلى وفد خولان وما أفادته هذه الألفاظ في سياقها الذي وضعت فيه من معنى من جانب آخر مثل (حيود، عميد، تهود، هجود، ركود ، سميد، شريد) وبما تحويه هذه الألفاظ من دلالة تعبر عن وجهة نظر الشاعر بصورة عامة في الدالية من مدح سيف الحميري أو وصف معاناته في الوصول إليه مستجادة ومستحسنة،لأنَّها من القوافي الذلل الشائعة وليست من النفر أو الحوش [5].

يضاف إليها المدُّالمتمثِّلُ بالواو المشبعة التي يمكن عدُّها تعبيرًا بارزًا يعبرُ عن فحوى المبدع في ظلِّ رأي ابن جني القائل بأنَّ الأصواتُ تابعةٌللمعاني[6]. وعليه فإنَّ القافية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعنى، الذي من شأنه حملُ إيحاءات في النّسقِ اللّغويّ الواحدِوبالأنساقِ اللّغويّةِ الأخرى أحياناً يرتبط بعض هذه الإيحاءات ببعض الآخر مشكِّلَةً بنية النص الدلالية والموسيقية وحسبي ههنا أمثلة أسوقها،يقول الشاعرُ:

صَرَفْنَ إليكَ القومَ تَدْمي كُلُومُهُم لِيُدْمَلَ قَرحٌ منهُمُ ولَهُودُ

يلاحظُ ثراءُ القافيةِ في دلالتها وغناها وارتباطها في نسقها اللّغويّ، فلا يمكن لنا أن نعزلَ معنى لهود عن القرحِ، وهما نوعان من المرض، والفعلِ يدملُ عن الكلمِ والدّم، وانصراف القوم إليه

(1) تشريح النص: 27.
(2) عيار الشعر: 7.
(3) اللغة بين الثابت والمتغير:159 .
(4) المرشد إلى فهم اشعار العرب 1/ 88 .
(5) المرشد إلى فهم أشعار العر ب :58/1، 75 ،79 .
(6) الخصائص: 160/2 ومابعدها.

حتّى يشفي جراحهم وكأنَّه العلاج النَّاجع لألمهم. وكأنَّ البيت وحدة شعورية تدور أجزاؤها المرتبط بعضها ببعض ارتباطًا عضويًا في فلك واحد،وقوله:

شَوَازِبُ قد تَطْوي نَقيلًا وسَبْسًا ورَوحًا بلَيْلٍ قَرَهُنَّ شَدِيدُ

وكذا نلاحظ ارتباط الشِّدَّةِ بالرَّوح وباللّيل الذي يوحي بمعاني الكرب والقسوة، والسبسب ومافيها من متاهات وبُعْدٍ التي استدعى ذكرها الضَّوامرَ الشِّدَادَ التي تقدر على اجتيازها وعبورها؛ وكأنَّ مفهوم الشِّدَّة يستحوذ على معاني البيتوأجزائه؛ إذ كلُّ ما فيه ينبضُ بمفهومها أو يسبح في فلكها.

ومن بهاء قولهوبيانه:

ويَرْتاشَ قِدْحٌ مِنْهُمُ ذُو تَمَرُّطٍ ويَفْتاقُ يومًا مِنْكَ وَهْوَ سَديدُ

نراه قد شبَّه رجلًا من رجالات الوفد بسهمٍ قد اِرْتِيْشَ بعد عُريّه ونتف ريشه، وصُوّبَ نحو الهدف الذي يمثله الملك ليحظى بعطائه، وقد عقد أسباب النجاح وإصابة الهدف بأنْ قصد ملكًا عظيمَ الصّيت، كريمًا وهو المحتاج الفقير، فنلاحظ ارتباط القافية (سديد) ارتباطًا عضويًا بالفعل يرتاش وبالقدح وبالفعل يفتاقمنك.ولم يكن استحضاره لهذه الالفاظ التي تعبر عن جانب من طقوس الحرب المألوفة مصادفةً، بل مما يجول في نفسه القلقة التي تستشعر خطر الحرب اللائح شبحها في الأفق، إذ الفارس يستلُّ سهمًا ويسدده صوب هدفه للنوال منه، وكذا فعل علقمة للظفر بعون سيف الحميري الذي مثَّل شخصه هدفًا.

ولم يسلم عَلْقمةُ الخولاني من الوقوع في الإيطاء أحد عيوب القافية،وهوتكرارالقافية بعد سبعة أبيات أو عشرة [1]. وذلك في قوله:

تَقُولُ الّتي مِنْ بَيْتِها شَحَصَتْ بنا رَكَائِبُ أمثَالُ العَطَائِفِ جُوْدُ

ثمَّ يقول بعد خمسة أبيات:

نَمَاهُ إلى العَلْياءِ نَفْسٌ أَبِيَّة وَبَأْسٌ غَدَاةَ البَأْسِ مِنْهُ، وَجُوْدُ

اتفق اللفظ واختلف المعنى وهو جائز عند قدامة بن جعفر، ولكنَّ القافيتين تنتميان إلى جذر لغوي واحد، وكثيراً ما كان يحدث هذا في الشعر القديم نتيجة للسقط أو الخرم الذي يصيب القصيدة أو لأسباب أخرى.

ج- الموسيقى الداخلية:

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب 45/1 .

إنَّ موسيقى الشعر الأصلية هي الموسيقى الداخلية التي عدّها كثير من النقاد معبّراً عن التجربة الشعورية وتتجلى في حسن اختيار اللفظة وملائمة معناها لمعاني جاراتها،وفضل مؤانستها لأخواتهاوأن تكون كلُّ واحدةٍ لِفْقًا للتاليةِ في مؤدَّاها[1]وفق نسق لغويّ ونفسي يقتضيه علم النحو[2]، إضافة إلى الانسجام الصوتي للحروف الذي يمثل البنى الصغرى لتشكيل النص الأدبي، فإنَّ ارتباط هذه الأصوات بمعانيها وتكوينها للصورة الصوتية تعطي الشاعر القدرة على خلق الدهشة ، وتشد الذهن وتثير الانتباه بما يكتنفها من تصور يفترض أنَّ لكل صوت دلالة طبيعية على معنى معين وهذا من شأنه أن ينهض بالكشفأوالاجتهاد في محاولة الربط بين إيقاع الصوت والإطار الدلالي[3] الذي يعتمد في أصله على الألفاظ الفصيحة التي ينبغي أن تتوافر فيها شروطٌ من أهمها تحقيق الانسجام الصوتي في مخارج الحروف والبعد عن المنافرة والكزازة[4] وهوممما تحقق في دالية علقمة، إذ لم نرصد إلاَّ التلاؤم والتجانس بين الحروف؛ لأنَّ "أفصح الكلمات ما كان مؤلَّفًا من أصوات متباعدة المخارجأو متقاربة الصفات، وإن من العسير على اللسان أن ينطق بصوتيين متجاورين وهما مختلفان في الصفة كأن يكون مجهورًا والآخر مهموسًاأو يكون أحدهما منطبقًا والآخرمنفتحًا مثلاً فإذا تجاور صوتان أحدهما مجهور والآخر مهموس تفاعلا وتجاذبا حتى يتحدا في الصفة ويكونا مجهورين معًا أو مهموسين،وكذلك لاحظ أن الصوتيين إذا تقاربا {تقاربًا} شديدًا صعب على اللسان تحقيقهما " [5] وحسبنا هذه الأبيات مثالاً من الدالية :

نَمَـــاهُ إلـــى العَلْيـــاءِ نَفْـــسٌ أَبِيَّـــةٌ ... وَبَـــأْسٌ غَـــدَاةَ البَـــأْسِ مِنْـــهُ، وَجُـــوْدُ

فَلَمَّـا بَطَنَّـا السَّـهْلَ مِـنْ تَحْـتِ (بَهْثَـرٍ) ... وَأَسْـــفَرَ مِـــنْ ضَـــوْءِ الصَّـــبَاحِ عَمُـــودُ

سَـلَكْنا بِهِـنَّ السَّـهْلَ (سَـهْلَ سُـحَامَةٍ) ... لهـــا ذَمَـــلٌ مِـــنْ تَحْتِنَـــا وَسَـــمِيْدُ

تَرَامَـــى بِنَـــا مِثْـــلَ السَّـــعَالِي فَجَـــافِجٌ ... وذُو خَفْقَـــةٍ فَـــوْقَ القُتُـــودِ يَمِيْـــدُ

لايجد القارئ تنافرًا في حروف ألفاظ هذه الأبيات أو كزازةً تجعله مستقبحًا لتنغيم ما أو ماجًّا للفظة بعينها كلفظة (مستشزراتٍ) التي وردت عند امرئ القيس ورفضها النقاد بسبب التنافر الصوتي الناشئ من اجتماع الشين وهو حرف مهموس مع الزاي المجهور مما خلق تباينًا واضحًا أدى إلى قلقٍ في النظام الصوتي والدلالي للبيت[6]. وقد أرجع الخليل السبب في تنافر الحروف إلى "البعد الشديد أو القرب الشديد وذلك أنَّه إذا بَعُدَ البُعْدُ الشَّديدُ كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب

(1) دلائل الإعجاز: 45 .
(2) دلائل الإعجاز: 81.
(3) رماد الشعر :310 .
(4) سر الفصاحة:16 .
(5) الفراهيدي عبقري من البصرة :42
(6) البلاغةوالأسلوبية: 295 .

الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال"[1]الذي كان حاضرًا في الأبيات السابقة التي لم يجتمع فيها ما ذكره الفراهيدي من بعد أو قرب شديدينِ، بل يرصد القارئ تناغم الألفاظ وائتلاف كل واحدة منها مع إيقاع جارتها، مشكلة بناءً دلاليًا يعبر عن حاجة الشاعر ومكنوناته الداخلية التي وجدت سبيلاً لها تلك الوحدات الصوتية المؤتلفة والمتناسقة فيما بينها،المعبرة عن مفاهيم الشِّدَّة والعناء والقلق والخوف المحفوفةِ بعنصر السرعة ليغدو الإيقاع الموسيقي الناجم عن المقاطع الصوتية متساوقا مع الرحلة وموضوعها ،فهل يرجع هذا كله إلى غير"حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة"[2].وعليه لايمكن للنفس الأبية أن تخرج من عباءة العلياء؟ ولا يجد صاحب الخفقة فكاكًا من المَيَدِ الذي يعبر عن اضطراب وقلقٍ حسيٍّ ومعنويٍّ في آنٍ معًا يكتنفان الرحل مرةً ونفوس القوم مرةً أخرى،وكذا في لفظة السَّهل وما تحويه من بعدٍ وشسوعٍ التي تتصل بالسَّمد والذَّمل؛لأنَّ دلالة الألفاظ تقوم على المؤثرات الصوتية الإيقاعية التي" تبدأ من الفونيم وهو أصغر وحدة صوتية في النص ومن تآلفها تتشكل الكلمات،ومن الكلمات تتشكل الجمل، ومن الجمل الصور، وهذا التشكيل هو الذي يبيح لنا النظر في دلالات النص الأدبي "[3].

وقد بنى بعض علماء العربية تصورتهم للمعاني على أساس صوتي وما له من علاقة بالمعنى إذ إن العربَ تجعل" أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها...من ذلك قولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ ...والقضم للطلب اليابس..قضمت الدابَّة شعيرها...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[4] وهذا يزيد دلالة الألفاظ المعجمية دلالة أخرى وبذلك يكون" لبعض الأصوات قدرة على التكيف والتوافق مع ظلال المشاعر في أدق حالاتها وترتبط الظلال المختلفة للأصوات باتجاه الشعور وهنا يثرى اللغة ثراءً لاحدود له" [5]وحينها يلعب الصوت دورًا مهمًا في تحديد الدلالة وكشف المعنى بطريق المحاكاة الصوتية التي هي (محاكاة الأصوات للمعنى...وإن كان الصوت المحاكى لايصور الشيء الموصوف تمامًا، وإنما يحاكي نشاطه وفعاليته محاكاة كليةً؛ لأنَّ المحاكاة ليست إلا وسيلة صوتية لوصف حدث أو فعل، يخرج عن نطاق اللغة، وهنا يقوم التشكيل اللغوي بنقل السمات العامة التي يحسها المستخدم –في ذلك الفعل– على أصوات

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:96 .
(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:96 .
(3) اللغة بين الثابت والمتغير : 139
(4) الخصائص:2/157-158 .
(5) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي : 14 .

لغوية تؤثر في فهم المعنى وتحديده في العمل الفني اللغوي" [1] وعليه تكون المحاكاة الصوتية هي الصورةُ المجسَّمَةُ التي ترسمها الأصوات في ذهن المتلقي الذي يحاول الربط بين هيئة الأصوات والدلالات التي تختبئ وراءها .

ولانذهب بعيدا إذا ما قلنا إن علقمة يحاكي بأصوات الأبيات معانيها ويعبر عنأوصاف الملك تارة والرحلة إليه تارة أخرى بتمازج الصوت والدلالة لتكون الصورة الصوتية بارزة بترديده لحروف السين والباء والنون التي تكررت أكثر من غيرها ومالها من أثر في توجيه المعنى وتعميق الإيقاع النغمي الكاشف لخبايا النص الذي تحوطه أهوال الرحلة وعناؤها.

ونلاحظ وفرة حروف المدِّ واللين التي تتغلغل في ثنايا الدالية لاسيما في الرِّدْفِ المتنوع بين حرفي الواو والياء اللتين التزمهما الشاعر قبل الروي ولم يخرج عنهما ما يمثل ظاهرة صوتية بارزة توحي بسخاء موسيقي متدفق وتموجات حملت نبرةً عالية وجرسًا قويًا عَبَّرَ عن الخلجات النفسية للشاعر؛مما مَوَّه النص بالذاتية على المستوى النفسي تارةً وعلى المستوى الموسيقي واللغوي تارة أخرى،وكأني بالشاعر حينما يميل إلى المدِّ يريد الاستبطاء والإقامة على فكرة اللفظ أو مجموعة الألفاظ التي يريد إيصالها مثل قوله (نَمَاهُ إلى العلياء نفسٌ أبيَّةٌ)، فالمد ههنا لإشباع معنى العلو والارتفاع وحينما يريد المرور سريعًا لم يتباطأ على اللَّفظ المُعَبِّر به عن معنىً من المعاني؛ لأنَّ (العرب إذا أخبرت عن شيء غير مُعْتَمِدَتِهِ ولا مُعْتَزِمَةٍ عليه أسرعت فيه، ولم تتأنَّ على اللفظ المعبر به عنه) [2].

وفحوى القول: إن مجموعة متكاملة من الصفات المميزة تتشكل من الوزن والقافية والموسيقى الداخلية بوساطة التناسق الصوتي بين الأحرف الساكنة والمتحركة، إضافة إلى ما يرتبط بتناسق زمن الطبقات الصوتية داخل منظومة التركيب اللغوي من مدات طويلة أو قصيرة،أوحدة أو رقة أو ارتفاع أو انخفاض وكل ذلك يتم تناسقه فيالهيكل النغمي للوزن الذي تبنى عليه القصيدة التي بدت لوحةً فنيَّةً[3].

نتائج:

كانت فكرة الحياة محورًا رئيسًا قامت عليه أجزاء القصيدة ودارت في فلكه، منطلقًا من موجودية الماء الذي عُدَّ أسُّ الحياة يضاف إليها مفهوم السرعة الذي أرهق نفس الشاعر -كما تبين من تراكيبه وألفاظه- الذي حرص على وصول مدد الملك الحميري قبل وصول سيوف قبائل قيس عيلان لخولان وحلفائها.

(1) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي : 14 -15.
(2) المحتسب 209/2 .
(3) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي:41 .

كان غرض المدح صادرا عن عاطفة قوية سرت في ثنايا النص وأوصاله فجعلتها نسيجا لغويا تجلى في القاموس اللغوي الذي التزم خطاب الممدوح أو ما يعاضده وينتمي إليه في معظم أجزاء القصيدة.

عبرت القصيدة عن معاناة خولان وخوفها من القادم المتمثلبشبح الحرب التي لاح بالأفق ما دفع علقمة إلى تحمَّل عبء إيصال الرسالة وبلاغتها التي ستقنع الملك الحميري بمدِّ خولان بجيش يعينها على سيوف قيس عيلان .

علقمة الخولاني فنان بارع لجأ إلى محاكاة الأنموذج والمثل الأعلى فأسبغ معجم المدح على ممدوحه بلبوس قشيب بعيدًا عن التملق والتكسب.

عمد علقمة إلى تراكيب وصيغ تعلي شأن الممدوح، لم يخرج فيها عن المألوف في التراث الشعري والنقدي عند العرب.

أسهمت موسيقا النص بكليتها في بناء معانيه الدلالية وتوجيهها وفق ما أريد لها.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، د. محمد العبد، دار المعارف، مصر، ط1، 1988م.

الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. ابتسام حمدان، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1997م.

الاشتقاق،لأبي بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزديّ (ت321هـ)، تح: عبد السّلام هارون، منشورات مكتبة المثنّى، بغداد. د.ت.

الإكليل (ج1، ج2)، لسان اليمن، لأبي محمّد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانيّ (ت345هـ)، تح: محمّد بن عليّ الأكوع، ط3، منشورات المدينة من شركة دار التّنوير، بيروت، 1986.

البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1994م.

بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، د. يوسف بكار، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1982م.

بنية القصيدة الجاهليّة (الصّورة الشعريّة لدى امرئ القيس)، د.ريتّا عوض، دار الآداب، بيروت، ط2، 2008م.

بنية القصيدة العربيّة حتى نهاية العصر الأمويّ،د.وهب روميّة، دار سعد الدّين، دمشق، 1997م.

تاج العروس من جواهر القاموس،محمّد مرتضى الحسينيّ الزَّبيديّ (ت1205هـ)، تح: مجموعة من الباحثين، مطبعة حكومة الكويت، 1969م.

تشريح النص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، الدكتور: عبد الله محمد الغذامي، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1987م.

تطوّر الغزل بين الجاهليّة والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة، د. شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1982م.

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دارالمعارف،مصر، ط3، د.ت.

جمهرة أنساب العرب، لأبي محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسيّ (384-456هـ)، تح: عبد السّلام هارون، دار المعارف، ط6.د.ت.

جمهرة اللّغة،لأبي بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزديّ (ت321هـ)، دار صادر، بيروت.

الخصائص،لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (392هـ)، تح: محمّد عليّ النجّار، المكتبة العلمية.

دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجُرجانيّ (ت471، أو 474هـ)، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط3، 2004م.

ديوان الأخطل، صنعة السُّكريّ وروايته عن أبي جعفر محمّد بن حبيب، تح: د. فخر الدّين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.

ديوان حُمَيْد بن ثور الهلاليّ، صنعة: د.محمّد شفيق البيطار، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2002م

ديوان شعراء بني كلب بن وبرة، صنعة: د. محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ط1، 2002م.

رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، د.عبد الكريم راضي جعفر، ط1، دار الشؤون الثقافية، العامة، بغداد، 1980م.

الرَّوض الأُنُف في تفسير السِّيرة النّبويّة لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرّحمن السُّهَيْلِيّ (508-581هـ)، دار الفكر، بيروت. د.ط.د.ت.

سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، 1969م.

شعراء حِمْيَر أخبارهم وأشعارهم في الجاهليّة والإسلام، رسالة دكتوراه، إعداد: مقبل التّام عامر الأحمديّ، إشراف: أ.د. علي أبو زيد، جامعة دمشق، 2007م.

شعر اليهود في الجاهليّة وصدر الإسلام، تحقيق ودراسة: د.عبد الله جبريل مقداد، دار عمّار، عمّان، ط1، 1999م.

شمسالعلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، العلّامة نشوان بن سعيد الحِميريّ (ت573هـ)، تح: حسين بن عبد الله العمريّ، ومطهّر بن علي الأريانيّ، ويوسف محمّد عبد الله، دار الفكر، دمشق وبيروت، ط1، 1999م.

صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمدانيّ (334هـ)، تح محمّد بن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة، الرّياض، 1977م.

العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ (ت327هـ)، شرحه وضبطه: أحمد أمين، وإبراهيم الأبياريّ،عبد السلام هارون، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، القاهرة، 2004م.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني،(463هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط5، 1981م.

عيار الشعر،ابنطباطبا العلوي، تحقيق: د.عبد العزيز ناصر المانع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005م.

فحولة الشُّعراء للأصمعيّ، للإمام أبي سعيد الأصمعيّ (122-216هـ)، تح: محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار القلم للتّراث، القاهرة.د.ت.

الفراهيدي عبقري من البصرة،د. مهدي المخزومي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

فن المديح،أحمد أبو حاقة، دار الشّروق الجديد، بيروت، 1962م.

القافية والأصوات اللغوية، د.محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، 1977م.

القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية،د. محمد صابر عبيد، مطبوعات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م .

لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور (711هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط3، 1993م.

اللغة بين الثابت والمتغير دراسات نصية،د.أحمد عفيفي،دار غريب،القاهرة، 2009م.

ما يحتمل الشّعر من الضّرورة، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السّيرافيّ (ت368هـ)، تح: عوض القوزيّ، دار المعارف، ط3، 1993م.

مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوريّ المشهور بالميدانيّ (ت518 هـ)، تح: د.جان عبد الله توما، دار صادر بيروت، ط1، 2002م، وهي طبعة مفهرسة.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصيف، ود.عبد الحليم النجار، ود.عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1999م.

المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيّب، وزارة الإعلام، الكويت، ط1، 1989م.

المطر في الشّعر الجاهليّ، د. أنور أبو سويلم، دار عمّار، عمّان، دار الجيل، بيروت، ط1، 1987م.

معجم البلدان،ياقوت بن عبد الله الحمويّ الروميّ (626هـ)، دار صادر، بيروت .د.ت.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكريّ الأندلسيّ (487هـ)، تح: مصطفى السّقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدّين بن هشام الأنصاريّ (ت761هـ)، تح: د.مازن المبارك، ومحمّد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغانيّ، 1972م.

المكان في الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، محمد عبيد السبهاني، دار غيداء للنشر، عمان، 2012م.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجنيّ (ت684هـ)، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط2، 1981م.

منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، طاهر الأخضر حمروني، الدار التونسية للنشر، 1984م.

موسيقا الشعر،غازيطليمات، مطبوعات جامعة البعث، حمص، سورية ،د.ت .

نسب عدنان وقحطان، لأبي العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد (210-285هـ)، تح: د.مقبل التّام عامر الأحمديّ، دار العربيّة، دمشق، ط1، 2008م.

- **نسب معدّ واليمن الكبير (النسب الكبير)**، لأبي المنذر هشام بن محمّد بن السّائب الكلبيّ (ت204هـ)، تح: د.ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، 2004م.

نظرية الأدب،رينيه ويلك وأوستن وارين، تح: محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1981م.

نقد الشّعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (337هـ)، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط3، 1978م.